بخروش بن علاس ثائر وثورة
١١٧٠هـ-١٢٣٠هـ / ١٧٥٧-١٨١٥م.

د/ ليلى عبد الكريم عبد الله
قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الباحة

مُقَدِّمَة

استطاعت الدولة السعودية الأولى برجالها وقادتها الوقوف في وجه المستعمر العثماني وحملات محمد علي باشا مدة من الزمن، وضربت المثل العظيم في الجهاد والكفاح من أجل تحقيق أمل الدولة السعودية الأولى. وقد ضم هذا الجهاد إسهامات مناطق ورجالها الذين تقبلوا مبادئ الدعوة الإصلاحية وتبني الدفاع عنها ونشرها في البلدان المجاورة، وعملوا مع قادة الدولة السعودية الأولى في نشر مبادئ الدعوة الإصلاحية بالمناطق وتكوين وحدة سياسية استطاعت أن تلعب دوراً سياسياً بارزاً في سير الأحداث التاريخية في شبه الجزيرة العربية خلال الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، وفي كثير من الأحيان اضطروا هؤلاء القادة للوقوف وحدهم في وجه القوات العثمانية وقوات أشراف مكة وحتى حملات محمد علي باشا، وتخرجوا في مدرسة الكفاح الوطني التي رووها بدمائهم مع صحبة أبناء كل منطقة. ومن الواجب علينا إبراز دور هؤلاء الرجالات الذين ساهموا بدورهم الوطني مع القادة العظام، حتى يعلم أبناء هذه الأمة كيف بنيت هذه سيرة الجهاد الوطني على سواعد هؤلاء الرجال، وحتى لا يفقد هؤلاء الأبناء القدوة الحسنة التي أفرزتها التجربة التاريخية لمملكتنا الحبيبة. ونحسب القائد (بخروش بن علاس) أحد هؤلاء الرجال الذين ساهموا قدر الاستطاعة في إضافة بعض السطور في صفحات التاريخ الوطني للمملكة العربية السعودية، ومن هنا جاءت عناية الباحثين في الفترة الأخيرة بتعقب مثل هذه الشخصيات التي تولت المتابعة والتقصي، وخاصة أن القائد بخروش تولى المبادرة، فقاد وخطط للمعارك، واصبح حقه علينا كأبناء للمنطقة ان نظهر دوره الجهادي ضد المستعمر، كما انه حق على التاريخ كتابة أسمائهم، وتسجيل أدوارهم، وقد قامت الدولة بتكريمهم إحقاقاً لحقهم واعترافاً بدورهم أن ألقت الضوء على جهودهم في المناهج التعليمية للمراحل الدراسية للعام الدراسي١٤٤٠-١٤٤١هـ. لذلك كان عنوان دراستنا "بخروش بن علاس ثائر وثورة ١١٧٠-١٢٣٠هـ/ ١٧٥٧-١٨١٥م.

أهداف الدراسة:

- استجلاء تلك الفترة وإلقاء الضوء عليها وجمع المعلومات وتحليلها للتعرف على شخصية هذا القائد المكافح الوطني خلال المدة التي عاشها.
- إظهار جوانب من حياته الجهادية المفصلة من خلال كتابات المؤرخين الغربيين من أمثال بوركهارت وجيرالد دو غوري وجيوفاني.

الدراسات السابقة:

كل ما كتب عن القائد بخروش بن علاس في بعض المصادر هو جمع لبعض أخبارها في كتب التاريخ ولم يفرد دراسة منفردة عنه، مثل ما فعل:

١-أ. محمد بن زياد الزهراني في كتابه الأمير بخروش بن علاس الثائر الفتاك على غزو الأتراك، تحدث عنه بعنوان مستقل في الصفحات (١٧-٢٣/ ١٦٥-١٧٨) أورد فيه معلومات استمدها من الرواية الشفهية بوصفه أحد أبناء المنطقة، حيث تسنى له جمع معلومات من أشخاص لهم صلة أسرية بالقائد بخروش.

- علي بن محمد بن سدران الزهراني في كتابه "بطون قبيلة زهران شيوخها. وأسواقها. شداتها" الصفحات (٥١٢-٥٣٢) تحدث فيها عن القائد بخروش ومعاركه ضد جيش محمد علي باشا من خلال استعراض بعض أقوال المؤرخين المحليين والعرب في كل ما يتصل بالقائد.
- جون لويس بوركهارت في "ملاحظات عن البدو والوهابيين " أشار إليه في أثناء حديثه عن حملة محمد علي باشا على شبه الجزيرة العربية منطقة الحجاز في أسطر قليلة، أما حديثه عن بلاد غامد وزهران فلا يتجاوز ما ورد في المصادر التي تحدثت عن هذا الموضوع.
- جيرالد دو غوري في كتابه " حكام مكة" حيث أشار إليه في صفحة ٢٧٩-٢٨٥ في أثناء حديثه عن مشاركة القادة الفاعلين في الحرب ضد الوهابية وسط الجزيرة العربية ١٨١٤-١٨٤٠م، مستنداً إلى ما نشر في بعض المصادر التي تحدثت عنه، وركز على ما ورد في مصدر بوركهارت في كتابه "ملاحظات عن البدو والوهابيين".
- د. محمد عبدالله آل زلفة في "دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب "حيث أفرد الصفحات (٦٢-٨٤) للحديث عن معارك محمد علي باشا على تربة والقنفذة وبسل وحملة الباشا

على بلاد غامد وزهران ودور بخروش القيادي فيها حتى نهايته، و ما كتب هو جهد كبير لتجميع نصوص بعض المؤرخين العرب والأجانب.

ومن السابق يتضح أن هذه الدراسة تعد أول دراسة تفصيلية عن القائد بخروش بن علاس.

❁ منهج الدراسة:

المنهج الذي نتبعه في هذه الدراسة فهو على النحو الآتي:

اعتمدت الدراسة على منهج تاريخي قائم على الوصف و التحليل، فقد تم التقاط المعلومات المتناثرة في كتب الرحلات والتاريخ لدى المؤرخين الغربيين وبعض المصادر النجدية، والاستعانة بالروايات الشفهية من المقربين له، كما تم الاعتماد على بعض الوثائق وهي عبارة عن مراسلات من محمد علي باشا وبعض قادته للدولة العثمانية، علاوة على مراسلات أخرى تخص بخروش وتكشف عن علاقته مع القوات العسيرية وأشراف مكة وقادة الدولة السعودية الأولى. وقد واجهت الدراسة تناقض المعلومات وتضاربها، لكن اجتهدت الباحثة في محاولة تتبع ورصد المتشابه من الأخبار والخروج بمضمون يساعد على تحقيق الهدف من هذه الدراسة.

❁ مسار الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة إلى تقسيمها إلى مبحثين دراسيين:

المبحث الأول: حياة القائد بخروش بن علاس.

اولاً: الميلاد و النشأة.

ثانياً: الظهور السياسي الأول للقائد بخروش بن علاس.

ثالثاً: علاقة الأمير بخروش بأشراف مكة المكرمة.

المبحث الثاني: دور القائد بخروش بن علاس في مقاومة حملة محمد علي باشا.

أولاً: معركة القنفذة

ثانياً: موقعة وادي قريش بزهران.

ثالثاً: موقعة ناصرة بلحارث.

رابعاً: موقعة قريش الحسن الثانية ونهاية القائد بخروش بن علاس.

خاتمة: ثم ختمت الدراسة بخاتمة تحوي تلخيصاً لمحتوى الدراسة وبعض النتائج التي تم التوصل إليها.

المبحث الأول: حياة القـائد بخـروش بن علاس

❁ أولاً: الميلاد والنشأة:

يحيط الغموض بأمور مهمة تتعلق بحياة القائد بخروش كما اختلفت وتعارضت كثيراً من أقوال التاريخ والمؤرخين حول ولادته ونشأته، ورجحت أغلبها بأن القائد بخروش بن علاس بن مسعود البخروشي القرشي العامري الزهراني ولد سنة ١١٧٠ هـ/ ١٧٥٧م في قرية العدية (بفتح الدال وتشديد الياء) من قبيلة قريش الحسن في بني عمر شمال سراة زهران[١]، وأحد فروع قبيلة زهران الأربعة (دوس – بني يوس– بني عمر– بني سليم) وتقع شمال الأطاولة على مسافة أربعة أميال منها، وهي حاضرتها في الوقت الحالي[٢]. وله من الأبناء علاس وهو أكبر أولاده وبه يكنى، وعائض، وزيد من زوجته الدوسية التي لا يعرف اسمها ولا قريتها في دوس [٣]. كان قوي الشخصية سديد الرأي والمشورة في قومه لا تأخذه في الله لومة لائم، اما صفاته الجسدية كان طويل الوجه والقامة عريض المنكبين ضامر البطن مفتول الذراعين مهيبا في طلعته[٤]. ونجد ذكره في كتابات المؤرخين الرحالة الغربيين من أمثال بوركهارت وجيرالد دو غوري وجيوفاني تتحدث عن القائد بخروش بن علاس، وعن مشاركته للقوات السعودية ضد الحملات المصرية والتركية على شبه الجزيرة العربية ووصفوه بالشجاعة والقوة ورجاحة العقل والإلمام بشؤون القبائل، وهي صفات لا تكتسب إلا بالتمرس والخبرة والتجربة التي تتراكم مع امتداد الزمن. ويؤيد الرأي السابق بعض المصادر للمؤلفين من أبناء شبه الجزيرة العربية فقد تناوله ابن بشر بشكل مختصر بالحديث عن مشاركته لحملة عسير ضد الدولة العثمانية وقائدها محمد علي ولكنها مختصرة جداً. وعليه بدأت حياته ونشأته يشوبها الكثير من الغموض لعدم وجود مصادر موثوقة تشرح لنا نشأته وبداية

---

(١) ذكرها عاتق بن غيث البلادي بهذا قرية قريش الحسن "...هذه قرية أهلها قريش، سميت بهم، وكثير من قرى الجنوب تسمى بأسماء القبائل التي تسكنها .."رحلات ومشاهدات، دار مكة للنشر والتوزيع،١٤٠٢ه/١٩٨٢م، ص١٢ خريطة رقم ١موقع منطقة الدراسة.

(٢) محمد بن زياد الزهراني: الأمير بخروش بن علاس الثائر الفتاك على غزو الأتراك، الانتشار العربي، ط١ ٢٠١٥،بيروت، ص٢٠)، إبراهيم بن محمد الزيد :الرئاسة في قبيلة زهران منذ القرن الثالث عشر الهجري، ط١٤١٩،١/١٩٩٨م، ص١١، https://www.alnssabon.com/t42150.html، مقال الأستاذ عبدالله موسى الزهراني ١١/٢٣ /١٤٢٧هـ.

(٣) محمد زياد: المرجع السابق، ص٧.

(٤) المرجع نفسه والصفحة.

مشاركاته السياسية، كما هو الحال مع القادة الذين عاصروا القائد بخروش بن علاس، وربما يعود السبب في ذلك إلى وعورة جغرافية بلاد غامد وزهران خريطة ، وصعوبة وشدة بأس أهلها من الأسباب الرئيسية التي جعلت تاريخها في منأى عن المؤرخين والرحالة فلم يرتادوها، ولم يسجلوا تاريخها لعدم وصولهم إليها، واحيانا كانت في معزل عن المؤلفين وأرباب القلم. وإن ذكرت في بعض المدونات التاريخية كإشارات فقط فذلك عن طريق الرواة أو بعض السرويين أو التهاميين الذين خرجوا من المنطقة واستخدموا طريقة التأريخ الشفهي.

❁ ثانياً: الظهور السياسي للأمير بخروش بن علاس:

لا يعرف عن أمارة بني عمر سوى الأمير بخروش بن علاس بن مسعود القرشي الزهراني فهو لم يرث المشيخة كابراً عن كابر كما هو الحال بالنسبة للقبائل الأخرى. وقد ورد اسمه ضمن شهود الصلح الذي جرى بين كبار قريش سنة ١١٩٩هـ / ١٧٨٥م بسبب اختلافهم على زعامة سوق الخميس(٥).

كما ورد ذكره في عام ١٢١٨هـ /١٨٠٣م عندما توجه عثمان المضايفي بحملة كبيرة لإخضاع بعض المتمردين على حكم الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، في وادي الحمى ببادية بني كبير من بلاد غامد، ووقعت المعركة الفاصلة بين أولئك المتمردين، وأرباب دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حيث استطاع عثمان المضايفي(٦). من إخضاع قبيلتي غامد وزهران لحكم الإمام عبدالعزيز بن محمد، وعين القائد بخروش بن علاس أميراً على كآفة بلاد زهران عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م بعد أن كانت إمارته مختصة بأبناء قبيلته من قريش

(٥) علي بن محمد بن سدران: بطون قبيلة زهران شيوخها، أسواقها، شداتها، ط١، ١٤٢٧/٢٠٠٦م، مطابع الشاطئ، الدمام، ص٢١٣.

(٦) عثمان المضايفي: من قبيلة عدوان بالطائف، من أكبر أعوان الشريف غالب وصهره، ثم اختلف معه وانضم إلى الإمام عبدالعزيز بن محمد ابن سعود، ولاه الإمام على الجيش اثناء توحيد الطائف، ونجح في تحقيق ذلك سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٣م، لكن ما لبث ان استردها الشريف غالب، وهرب عثمان المضايفي من الطائف، وخصص الشريف مبلغ مالي كبير لمن يقبض على المضايفي ويسلمه له، وتمكن أحد الرجال من قبيلة عتيبه بالقبض عليه وسلموه للشريف غالب وأرسله طوسون باشا اسيراً إلى مصر ومنها إلى استانبول وقتل هناك. انظر عثمان بن عبدالله ابن بشر :عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبدالرحمن عبداللطيف، دارة الملك عبدالعزيز، ط٤، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م، ص٢٠٩-٢٦٠-٣٣٤-٣٣٥، وثيقة الإخبار عن إلقاء القبض، على عثمان المضايفي تاريخ ١٥شوال ١٢٢٨هـ/١١أكتوبر ١٨١٣م عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم :من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، مج٢، ص٩٩.

وشملت جميع ديار بني عمر بسراة زهران، حيث كانت قبائل بني بشير، وبني جندب، وبني حرير، وبني عدوان، وقريش تحت نفوذه(٧).

وتذكر بعض المصادر أنّ إمارة الأمير بخروش شملت بلاد غامد وزهران. وربما يكمن السبب في تعيين القائد بخروش اميراً على بلاد غامد وزهران شجاعته ومشاركته المتعددة وبسالته في كل المعارك التي خاضها إلى جانب القوات السعودية، كذلك الموقع الجغرافي لقرية الأمير بخروش في شمال منطقة الباحة وهي البوابة الشمالية لحماية مدخل المنطقة شمالاً تحسباً لأي هجوم من قبل منطقة الحجاز، إلى جانب علاقة الصداقة الكبيرة التي تربطه مع أمير عسير طامي بن شعيب وعملوا كقوة واحدة في مواجهة أعداء الدولة السعودية الأولى(٨). فأغلب الحملات التي قادها بخروش إن لم تكن كلها كانت بالتنسيق الدائم مع حليفه طامي بن شعيب. وبذلك يكون نشأة هذه الأمارة في أواخر الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري، إلى نهاية النصف الأول من القرن الرابع عشر استطاع خلال هذه الفترة الاستقلال بإمارة بني عمر عن الأتراك والأشراف وآل عائض وحكومة محمد علي باشا(٩).

ومن الأقوال السابقة يمكن الخروج بحقائق مهمة عن الأمير بخروش على النحو الآتي:

١-أنه ذو شهرة ومكانة في قومه.

(٧) https://www.alnssabon.com/t42150.html، مقال الأستاذ عبدالله موسى الزهراني ١٤٢٧/١١/٢٣هـ، -"قاهر الطغيان العثماني "بخروش بن علاس "في وطنية التاريخ بالباحة "صحيفة سبق ٢٦سبتمبر -٢٧/٢٠١٩محرم ١٤٤١ه"بخروش بن علاس "المجلة العربية العدد ٥٢٠-يناير ٢٠٢٠/جمادى الأولى ١٤٤١م -.

(٨) طامي بن شعيب :-١٢٢٤-١٢٣٠هـ/١٨٠٩-١٨١٤م تولى إمارة منطقة عسير بعد مقتل ابن عمه عبدالوهاب بن عامر المتحمي، ووصل خبر وفاة عبدالوهاب للإمام سعود بن عبدالعزيز بالدرعية، وأرسل تعزيه وأصدر أمر يجعل طامي أميراً لهم .عبدالهادي بن عبدالله مشبب الشهري :الحروب التركية في المنطقة الجنوبية، ص١٠٥.

(٩) علي بن سدران: مرجع سابق، ص٥١٣، ويذكر الرحالة "بوركهارت "أحيانا يطلق قبائل عسير ومشاركتها للقوات السعودية على قبائل عسير وغامد وزهران، ربما للارتباط الكبير بين القائدين طامي بن شعيب وبخروش بن علاس وتعاونهما الدائم في التنسيق للوقوف في وجه العدو. عبدالهادي بن عبدالله: مرجع سابق، ص١٠٠.

٢-أنه كان أميراً على بلاد غامد وزهران بتعيين من الدولة السعودية الأولى، والذي اظهر ولائه الشديد في طاعته لها. ومواجهة أعداء الدولة السعودية الأولى(١٠).

٣-الإستقلال التام وعدم الخضوع ببلاد غامد وزهران عن الأتراك والأشراف وآل عائض وحكومة محمد علي باشا.

❁ ثالثاً: علاقة الأمير بخروش بأشراف مكة المكرمة:

طلب الأمير بخروش من بعض عراف وعرفاء(التعريف بمصطلح عريف بضم العين وتشديد الراء) قرى قبيلة زهران تسجيل مطالبهم العامة، واحتياجاتهم الخاصة، وذلك بشأن دفعها إلى الشريف غالب. واراد بعض أكابر القبيلة ابعاد بخروش عن رئاسة القبيلة فتآمروا وقاموا بإرسال بعض الرسائل السرية على الشريف غالب (١١) يخبرونه عن مدى سخطهم على امارة بخروش الديكتاتورية وأخذوا يكيلون له في تلك الرسائل التآمرية الكثير من التهم والإسقاطات، منها على سبيل المثال لا الحصر تهاونه في جباية الزكاة من بعض قرى زهران تطبيق الحدود الشرعية على البعض دون الآخر، ولكن لا يمكن بالفعل الجزم بصحة هذه الشكوى بدليل بعد وصولها الى الشريف غالب لم يكن بالقدر الذي يستهان به ان لا يتحقق من الشكوى، ولكنه رأى كفاءة القائد الأمير بخروش فقام بتجديد إمارته على قبائل غامد وزهران، كما انها من وجهة نظر الباحثة تعد من الشكاوي الكيدية ضد القائد الفذ لأنهم قاموا بجمعهم في الموعد الذي طالب فيه الأمير بخروش من الأهالي الرفع له بطلب المطالب لتسليمها إلى الشريف غالب في تلك الفترة أرادوا إحراج موقف الأمير بتزامن وصول

(١٠) علي بن سدران: بطون قبيلة زهران ص٥١٢، ويذكر بوركهارت بقوله: "وإلى جهة زهران حيث كان الشيخ بخروش، زعيم عرب غامد، الخصم الأساسي للأتراك.."، ويضيف :"وبخروش شيخ عرب غامد وزهران.. "جون لويس بوركهارت: ملاحظات عن البدو والوهابيين، ترجمة عبدالله الصالح العثيمين،(د. ط)،١٤٣٤هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص ص٤٩٣-٥٠٥.

(١١) الشريف غالب بن مساعد من ذوي زيد، تولى منصب الشرافة من عام١٢٠٢-١٢٢٨هـ/ ١٧٨٨-١٨١٣م عزله محمد علي باشا وإرساله لاستانبول ثم نفي إلى سالونيك وتوفي مصاب بالطاعون لويس ألكسندر أوليفيه دو كورانسيه: تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م، ترجمة محمد خير البقاعي، (د. ط)،١٤٢٤هـ،دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص٦٠،وثيقة رقم ٣٤٥/١٩٦٨٤- A "بشأن عزل الشريف غالب وإرساله إلى مصر، وتعيين الشريف يحيى بن سرور اميراً على مكة المكرمة، تاريخ ١٢٢٨/٧/١هـ، الوثائق العثمانية، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

شكواهم مع وصوله إلى الشريف غالب[١٢]. ايأما كان الأمر قام الأمير بخروش بجمع مطالب الأهالي، وسار بها في عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥ م إلى الشريف غالب، وبدأ متحمساً في إعلان مطالب أهالي زهران، والتي كان من أهمها تخفيض مقدار الزكاة السنوية، وهذه الشكوى تناقض الشكوى الكيدية التي أرسلها البعض للشريف غالب قبل وصول الأمير بخروش، غير أن الشريف فاجأ بخروش بسؤال ذكي قائلاً له: ما رأيك بأفراد قبيلتك ؟فأجابه بخروش ببديهته الأصيلة: زهران ونعم، عند ذلك بدأ الشريف غالب باستعراض الرسائل السرية التي قام بعض الأهالي بإرسالها. وبعد الانتهاء من قراءة الرسائل كان الشريف غالب يتوقع من بخروش بن علاس دفاعاً طويلاً لإثبات عكس ما ورد بالشكوى لكن كان الصمت والتأني يخيم على شخصية الأمير، فرد بعبارة واحدة فقط: أنت أعرف بي منهم، فقال له الشريف غالب وأنا أجدد ثقتي بك، وأسألك أن تحسن الأمر برعيتك وما ذلك إلا دليل على صدق القدرة القيادية لدى بخروش.

ما هو موقف الأمير بخروش من بعض الأهالي الذين قدموا شكواهم بعد عودته من مكة؟

الحقيقة ان الأمير كان على درجة من الحكمة والحنكة السياسية وهو بعد أن عاد استدعى عبده الحبشي المسمى نويري، بجمع أولئك القوم في باحة منزله المبسط. وما أنْ أجتمع القوم حتى بدا بخروش يخطب في جمعهم مفنداً تلك المزاعم التي بعثوا بها إلى الشريف غالب، وبعد الانتهاء أخبرهم أن في نيته بناء حصن شامخ، وأنه أختار أولئك القوم لمساعدته في بناء قلعته التاريخية[١٣].

(١٢) جاء في وصف عادات القوات السعودية واتباعها في مواجهة حملات محمد علي باشا"...إن النظام قاس، فالزعيم الذي يخل بواجباته، أو الذي يأتي من الأفعال ما يجعل الآخرين يشكون منه ويزاح من منصبه: وفي بعض الأحيان تفرض عليه غرامة ." تأليف فيلكس مانجان: تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي باشا على الجزيرة العربية، ترجمة محمد خير محمود البقاعي، ط١ ١٤٢٤هـ،دارة الملك عبدالعزيز الرياض، ص ٢١٣-٢١٢.

(١٣) كانت منطقة الباحة (غامد و زهران) تخضع لأمر شيوخها وأعيانها، ولم تكن تأخذ بأمر غيرهم .ونجد في بعض المصادر تذكر أن قبائل غامد وزهران كانت تخضع اسميا لحكم أشراف مكة منذ سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م وخضعت تبعاً لولاية مكة المكرمة، و كانت العلاقات بينهما جيدة ففي عام ٨١٢هـ/١٤٠٩م نرى شريف مكة حسن عجلان يطلب العون والمدد من قبائل السراة مثل غامد وزهران وغيرها لصد الاعتداءات على الحجاز، بل ان حكام الأشراف يلجأن إلى قبائل السراة عند خلافاتهم مع بعضهم البعض لمساعدتهم على إعادتهم إلى الحكم .وفي عام ١٢١٧هـ/١٨٠٢ م أصبحت مكة المكرمة ولاية تركية فإلى جانب الشريف كان هناك حاكم من قبل تركيا يعينه محمد علي باشا والي مصر . للمزيد عن أشراف مكة واتصالهم بأهل السراة سياسيا وحضارياً (انظر أحمد السباعي: تاريخ مكة، الرياض، مطبعة العبيكان، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج١، ص٢٣٠ وما بعدها.

حيث قام بخروش بن علاس بإنزال عقابه التاريخي على أولئك المعارضين، فأمر بعضاُ منهم بالإتيان بالحجارة على ظهور الجمال من وادي لية بالقرب من الطائف، والبعض الآخر أمره بالإتيان بالحجارة على ظهور الجمال من فج الغواة بالقرب من منطقة مكة المكرمة(١٤). والبعض الآخر وهم أشد القوم خيانة أمرهم بإحضار الحجارة على ظهور الجمال من مسافات بعيدة اتفقت بعض الروايات على أنها من مناطق معروفة على خط المدينة المنورة. غير أن هذا الرأي من وجهة نظر الباحثة قد يكون فيه نوع من المبالغة بدليل المادة المستخدمة في البناء هي من نفس المادة الخام لأغلب القلاع والمعالم الأثرية في المنطقة نتيجة لتوفرها بالبيئة الجبلية للمنطقة، فقد تكون مشاركتهم بإحضارها وتكسيرها ورصها(١٥)، كما انه كان يطلب منهم إحضار حجارة طويلة من هجرة الحشرج للقصر الذي يريد بناءه (١٦).

(١٤) الأمير بخروش الأستاذ عبدالله موسى الزهراني ١٤٢٧/١١/٢٣هـ. منتديات أنساب العرب https://www.alnssabon.com.

(١٥) السمة المشتركة بينها هي استخدام الحجر الصلد عند تشييد الواجهات الخارجية، وترتفع هذه الواجهات بين ١٥م و٢٠مترا تقريبا بشكل متناسق ومنتظم. انظر التراث العمراني في المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون البلدية والقروية، شعبان ١٤٢٣هـ-أكتوبر٢٠٠٢م ص١٧٠).

(١٦) الحشرج: هجرة لغامد تقع شمال العقيق بمسافة عشرين كيلا تقريبا وشرق بيدة بحوالي عشرين كيلاً محمد بن زياد: مرجع سابق ، ص٣١.

شكل رقم ١صورة للقلعة

المبحث الثاني:

دور القائد بخروش بن علاس في مقاومة حملة محمد علي باشا

يوجد ذكر لحروب الأمير بخروش بن علاس في بعض كتب المؤرخين من أهالي نجد وقد وردت باختصار شديد وربما يكون لبعد النطاق الجغرافي بينهم وعدم تواجدهم في منطقة الحجاز وبلاد غامد وزهران وعسير بتلك الفترة السبب فقد جاءت بشكل مجمل وغير مفصل(١٧).أمّا بالنسبة لكتابات الرحالة الغربيين وردت بذكر للملامح التفصيلية لما كان يحدث من المقاومة الجنوبية وربما يعود السبب على النقيض من كتابات مؤرخين نجد لمرافقتهم لحملة محمد علي باشا في المنطقة، وحرص المستشرقون على التدوين لجميع القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية(١٨).

كلفت الدولة العثمانية قائدها محمد علي باشا بالحرب والقضاء على الدولة السعودية الأولى فقد أدركت الدولة العثمانية خطر آل سعود بعد تحالفهم مع شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب خصوصاً في الجزء الغربي من الجزيرة العربية، وتهديد سمعتها أمام العالم الإسلامي إلى جانب ضرب مصالحها بمنطقة الحجاز. وبالرغم معرفة محمد علي نوايا الدولة العثمانية في الحرب إلى جانب قضائها على الدولة السعودية خوفها من تمدد أطماعه التوسعية في البلاد العربية، لبى طلبها المتوافق مع طموحه، ففي حالة نجاحه في هذه الحرب فإن ذلك يمكن سلطته في مصر ويعلي من شأنها لاسيما بعد زوال هيبة الدولة العثمانية من نفوس كثير من الشعوب الإسلامية وهذا ما ظهر خلال الحروب التي خاضها في الجزيرة العربية باسم الدولة العثمانية من الإسراف في عملية القتل والتدمير وقطع الرؤوس والتمثيل بالجثث(١٩). وقد يكون هدفه تشويه سمعة ومكانة الدولة العثمانية في نفوس

(١٧) لم يفرد للأمير بخروش بن علاس ومقاومته ضد الأتراك موضع مستقل وانما جاءت الإشارة إليه مرتبطا بحملات الأمير طامي بن شعيب كما جاء عند ابن بشر، عثمان بن عبدالله ابن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، حققه وعلق عليه: عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ، ط٤، الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، جـ١،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٢٤٣.

(١٨) من أمثال بوركهارت وجيوفاني فيناتي وجورج سادلير وهارفرد جونز بريدجز قد جاء ذكر جهاد الأمير بخروش بموقعة القنفذة كما ذكرتها كذلك وثيقة القائد زعيم أوغلو إلى محمد علي باشا والموجودة بقصر عابدين بك بمصر تثبت اشتراك بخروش بن علاس وقبائله على رأس جيش الدولة السعودية الأولى وإلى جانب الدور العسكري الذي قام به القائد العسيري طامي بن شعيب إلا أن اغلب كتابات المؤرخين تتناول بالتفصيل دور القائد طامي بن شعيب اما بخروش بن علاس تأتي إشارة مشاركته فقط في بعض المصادر العربية لكن ذكره بوركهارت.

(١٩) التمثيل البربري ان جاز التعبير بتقطيع الآذان وتسليمها للسلطة العثمانية، انظر وثيقة الإخبار عن إلقاء القبض، على عثمان المضايفي تاريخ ١٥شوال ١٢٢٨هـ/١١أكتوبر ١٨١٣م عبدالرحيم عبدالرحمن :من وثائق الدولة السعودية الأولى، مج٢، ص١٠٠.

العرب والمسلمين، إلى جانب الطلب المستمر في تجهيز حملته بالعدة والعتاد والأموال الكبيرة التي بذلت أثناء هذه الحملة محاولاً استغلال ظروف الدولة العثمانية السيئة، بدليل المبالغة في طلب التجهيزات ومماطلته بالرغم من معرفته لظروف الدولة(٢٠). ومن وجهة نظر الباحثة ان الدولة العثمانية في هذه الحملة خسرت أكثر مما حاولت تحقيقه من أهداف، كما أن محمد علي أراد إشغال جنوده الذين يريد إبعادهم عن مصر بالحروب والغنائم من جهة ثانية(٢١).

خريطة رقم (٢) منطقة الدراسة

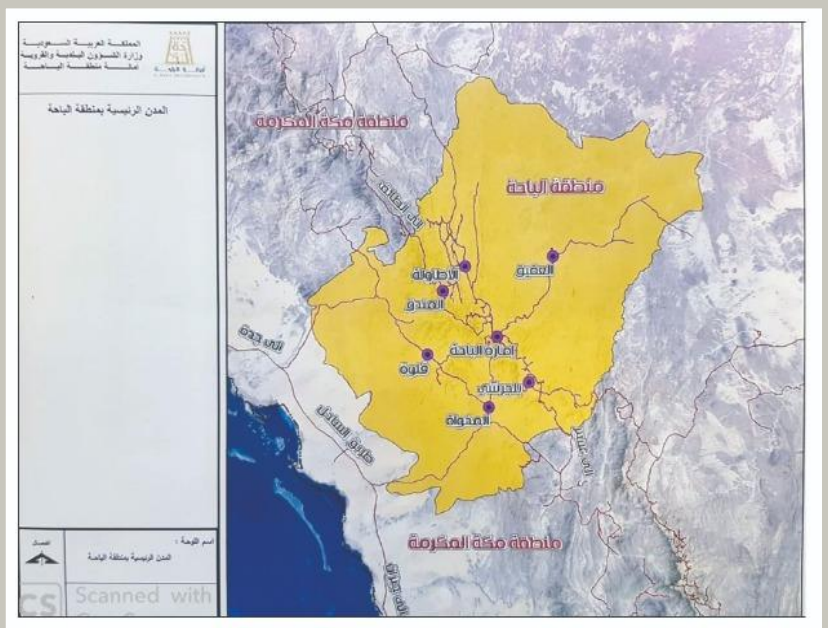

(٢٠) وثيقة طلبات محمد علي من الدولة العثمانية اللازمة لتجهيز الحملة بتاريخ ١١محرم ١٢٢٣هـ/٩مارس ١٨٠٨م .عبدالرحيم عبدالرحمن: من وثائق الدولة السعودية الأولى، مج١،ص ٥٢.

(٢١) كان لمحمد علي قصة إبادة في مذبحة القلعة الشهيرة عام ١٢٢٦هـ/١٨١١م او ربما ارادت الدولة العثمانية الانتقام منه عن طريق تكليفه في القضاء على الدولة السعودية وخوض الحرب الصحراوية مع القبائل. للمزيد عن مذبحة القلعة انظر جيوفاني فيناتي حياته ومغامراته في جزيرة العرب عام ١٢٢٦هـ/١٨١١م، ترجمة محمد بن عبدالله آل زلفة، ط ١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص ٦٥ومابعدها، هارفرد جونز بريد جز: موجز لتاريخ الوهابي، ترجمة عويضة بن متيريك الجهني، ط١، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٤هـ، ص ١٢٥.

ولما كان الأمير بخروش بن علاس، أحد المؤيدين لحكام الدولة السعودية الأولى لتحكيم الشريعة الإسلامية وتوحيد أرض شبه الجزيرة العربية، انزعجت الدولة العثمانية من انضمام القبائل الجنوبية إلى جانب آل سعود وأصابها قلق بالغ، إذ رأت فيه خطراً يهدد مصالحها بمنطقة الحجاز فبلاد غامد وزهران على الحدود الجنوبية لولاية الحجاز و انضمام الأمير بخروش للقوات السعودية سيهدد المنطقة، ويحكم حصار حدود ولاية الحجاز جنوباً. بدأ محمد علي باشا بوضع مخطط للقضاء على الدولة السعودية الأولى حيث رأى البدء أولا في القضاء على القوة الداعمة للقوات السعودية وهي المناطق الجنوبية للدولة كمنطقة عسير وبلاد غامد وزهران، لأنها كانت كسد المنيع لحماية بلاد الحجاز وسقوطها بيد الدولة العثمانية. وبالفعل استطاعت قبائل غامد وزهران وعسير أن تشغل القوات العثمانية وتؤخر سقوط الدولة السعودية الأولى. فبعد الاستيلاء على الحجاز المدينة المنورة ومكة المكرمة وجدة والطائف، رتب أوضاعه مع شيوخ القبائل الحجازية(٢٢). و بدأت تتجه انظاره إلى أرض الخير والبركة أرض غامد وزهران وعسير، ومن الواضح أن محمد علي باشا كان يعد العدة لإنجاز هذه الحرب، ووضع نصب عينيه النجاح حيث أن فشله يعني نهايته ونهاية طموحاته التوسعية بمصر والحجاز وعسير واليمن، وهذه الفرصة الوحيدة التي تثبت قوته هي القضاء على الدولة السعودية الأولى واتباعها، لذلك أكثر من طلب الإمدادات من السلطان العثماني، وبدأ بالتجهيز لخطته العسكرية ورأى انه لا يستطيع المواجهة لقوات غامد وزهران من ناحية شمال المنطقة لقوتهم وبأسهم ومعرفتهم بمسالك الطرق والقدرة على خوض المعارك الجبلية. وهذا بالفعل ما اثبتته بعد ذلك في المواجهة مع القوات العثمانية، فقام بإنشاء أسطول بحري قوي بلغ عددهم ٦٣سفينة ليكون حلقة الوصل بين مصر والحجاز، والشريان لنقل المؤن والجنود الذين وصل عددهم إلى ٦٠٠٠فارس وأكثرهم من الألبان، لتسهيل الحرب ضد الدولة السعودية الأولى، وبالفعل كانت نقطة قوة للقوات المصرية هو الأسطول البحري الذي تمتلكه، ولو وجد أسطول سعودي يقارعه لتغلب عليه وأوقف الإمداد الممول للعساكر المصرية التركية داخل شبه الجزيرة العربية. ولم تقتصر هذه المؤنة على

(٢٢) جلب معه خمسمائة شال كشميري وخمسمائة جنيه وأكثر من خمسمائة ثوب جوخ لإلباسها مشائخ العربان واستمالتهم بها وهذه السياسية الودية مع مشائخ القبائل الذين استفاد منهم فيما بعد خلال المواجهة مع قوات الدولة السعودية الأولى الذي ابتعد عنها كثيرا الإمام عبدالله بن سعود وسنذكر ذلك في سياق الأحداث القادمة .انظر وثيقة طلبات محمد علي من الدولة العثمانية اللازمة لتجهيز الحملة بتاريخ ١١محرم ١٢٢٣هـ/٩مارس ١٨٠٨م. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم :من وثائق الدولة السعودية الأولى، ص ٥٥.

المعدات العسكرية، و إنما قام بتوفير أعداد كبيرة من الجمال لاستعمالها في النقل البري، وبأكياس الغلال وقرب الماء وأكثر من ثلاثة آلاف خيمه، والكثير من المدافع والقنابل والعربات وغيرها من اللوازم الحربية(٢٣)، كما أرسل بعض الرجال لدراسة أوضاع شبه الجزيرة العربية قبل إنفاذ حملته ليقف على نقاط القوة والضعف لدى مشائخ القبائل والذي استطاع استمالتهم بعد ذلك بل انه قدمهم في أحيانا كثيره على جنوده، وصاحب الحملة كبار التجار المصريين الذين ترددوا كثيراً إلى بلاد الحجاز ولهم علاقات وطيدة مع الشريف غالب في تجارة البحر الأحمر وكانت مهمتهم توزيع المال على البدو بالحجاز(٢٤)، وأرسل إلى الشريف غالب يطلب منه الوقوف إلى جانبه، لذلك لم تجد القوات المصرية صعوبة عند نزولها في ميناء ينبع عام ١٢٢٦هـ/١٨١١م. وربما كان ذلك بإيعاز من الشريف غالب شريف مكة لأن حاكم ينبع قد تم تعيينه من قبل شريف مكة(٢٥). واعلن الشريف مناصرة الإمام سعود لكنه من جانب آخر كانت له اتصالات سرية مع محمد علي واراد بذلك أنْ يقف إلى جانب الحملة الأقوى. لأنّه لم يشارك بجيشه مع طوسون باشا فور دخوله ينبع. في الوقت الذي قدم فيه الاعتذار من الامام سعود عندما طلب منه المساعدة ضد الغزاة الأتراك والمصريين، وبدء يحصن جدة ومكة وعلل للإمام سعود عن عدم قدرته على المساعدة لأن الوضع في جدة ومكة مريب ومعرض للهجوم في أي وقت. وقد أشار لذلك بوركهارت وقال: "كان واضحاً أن خطة الشريف هي الانتظار والمسايرة حتى ترجح كفة أحد الطرفين على الآخر وأنْ يضعف الطرفان بالحرب. ومن ثم يتحين الفرصة لينقض على الأثنين معاً ويفرض سيطرته عليهما "(٢٦). و لكي يتأكد طوسون من نوايا الشريف غالب وتأييده للحملة المصرية

(٢٣) أحمد بن يحيى آل فائع: دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها، ط١،١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م مطابع الحميضي، الرياض، ص٢٦٠، إدوار جوان: مصر في القرن التاسع عشر، ترجمة محمد مسعود، القاهرة، ١٩٣١، ص٤٢٤، بوركهارت: مصدر سابق، ص٤٥٣،"إرسال محمد علي باشا والي مصر الذخائر والعساكر إلى الحجاز " الوثائق العثمانية، رقم ١٣٦٤٩، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

(٢٤) إدوار جوان: مرجع سابق، ص٤٢٤.

(٢٥) وثيقة رقم –B3838 بشأن التحريرات المتبادلة بين الشريف غالب ومحمد علي بخصوص الوهابيين "من سجلات رئاسة مجلس الوزراء في استانبول نسخة مودعه بدارة الملك عبدالعزيز –الرياض –المملكة العربية السعودية؛ محمود شاكر: شبه جزيرة العرب، نجد، المكتب الإسلامي، ١٣٩٦هـ /١٩٧٦م،ص١٩٥).

(٢٦) بوركهارت: المصدر السابق، ص ٤٥٦.

قرر مهاجمة المدينة بقواته البرية بلغت ٣٠٠٠ فارس وانطلق في ذوالحجة ١٢٢٧هـ/ يناير ١٨١٢م، واستولى على بدر والصفراء. لكن النصر لم يكتمل بعد أن تعرض جيشه لظروف الطبيعة الوعرة والصعبة بين الجبال من ناحية ومن ناحية أخرى تغلبت عليه القوات السعودية بقيادة عبدالله وفيصل ابني الأمير سعود بالمصريين. وأوقعت بالحملة خسائر فادحة، ونتج عنها مقتل ١٢٠٠من المصريين وانسحب طوسون إلى معسكره في بدر(٢٧). لكن القوات السعودية لم تستغل هذه الهزيمة وتلاحق القوات المصرية المنهزمة التي كانت قد تعكس الأحداث التاريخية لصالحها. خصوصاً أن القوات المصرية كانت بداية قدومها وجهلها بالمواقع ووقوف أغلب القبائل إلى جانب الدولة السعودية. ربما أن شخصية الإمام عبدالله لم تكن على درجة كبيرة من العلاقات الدبلوماسية مع القبائل مثل والده الإمام سعود، والذي استطاع بحنكته وقدرته استمالة القبائل إلى جانبه. واما محمد علي باشا بعد هذه الخسارة شرع في تجهيز حملة جديدة ووزع الذخيرة والمبالغ الضخمة على شيوخ البدو والمحاربين لكسبهم إلى جانبه. وهذا ما تحقق في شوال ١٢٢٧هـ/ أكتوبر١٨١٢م في حملة طوسون للمرة الثانية على المدينة المنورة. وذكر بوركهارت أن القبائل المحلية دعمته كأفراد قبيلة جهينة قد جندوا أنفسهم تحت لوائه. وحاصر طوسون باشا المدينة أربعة عشر يوما دون أي مقاومة حتى منتصف نوفمبر/ شوال. ودخلوا على المدينة والأهالي يؤدون الصلاة، وقاموا بتفجير التحصينات للمدينة وإحراقها وقتلوا زهاء ١٠٠٠رجل في شوارع المدينة(٢٨). وحاصروا ما يقارب ١٥٠٠جندي من القوات السعودية داخل القلعة التي صعب على المصريين اقتحامها حتى نفذت المؤنة. واستسلم الجنود المحاصرون بعد أن اخذوا وعداً من

(٢٧) هارفرد جونز بريدجز: موجز لتاريخ الوهابي، ص وما بعدها ١٣١.أورد بعض المؤرخين مشاركة قبائل زهران في مناطق أبعد من الطائف. و وقوفهم إلى جانب الدولة السعودية الأولى وورد اسم مشاركة الشيخ فايز الشاطي من بني علي من دوس كان من ضمن القوات السعودية وشارك في معركة وادي صفراء وتوفي قبل عودته ودفن بوادي فاطمة. ويدلنا هذا على مشاركة قائد قبائل زهران بخروش لطالما وجد ما يثبت ان احد افراد القبيلة متواجد بالمعركة. لم تقتصر المشاركة العسكرية مع القوات السعودية عسكرياً، وانما مشاركتهم بالأموال حيث كشفت الوثائق طريقة المحاسبة المالية بعد انتهاء المعركة، وكيف وأين صرفت تلك المبالغ التي جمعت للمساندة الحربية، حيث توضح جهة الصرف، وإخلاء المسئولية، وإبراء الذمة وما هذا إلا أكبر دليل على المشاركة الفعلية لقبائل زهران في موقعة الصفراء وكانت امرة القبائل في حينها بقيادة القائد بخروش بن علاس. أ. د إبراهيم محمد الزيد ص١١-١٣.

(٢٨) هارفرد جونز بريدجز: موجز لتاريخ الوهابي، ص وما بعدها ١٣١.

القائد المصري أحمد آغا "الملقب بـ بونابرت[٢٩]. مقابل تأمين٣٠٠ جمل لهم لنقلهم خارج المدينة. يقول بوركهارت. وارتكب احمد آغا وحشية في المدينة المنورة فقام بجمع جماجم العرب المقتولين، وبنى بها بناء على شكل برج على الطريق بين المدينة وينبع "[٣٠]. وكأنها رسالة تخويف وتهديد لقبائل البدو وللشريف غالب في حال الانضمام للقوات السعودية ضدهم. وبالفعل كان سقوط المدينة مثيرا للشريف غالب. وقد بعث رسلاً إلى مصطفى بك يدعوه للمدن التابعة له. وأرسل مصطفى بك بضع مئات من الرجال إلى جدة، والقوة الرئيسية بقيادته اتجهت إلى مكة حيث كان قائد الجيش السعودي آنذاك عثمان المضايفي، لم يستطيع الوقوف في وجه الحملة و تراجع إلى الطائف في محرم ١٢٢٨هـ/ يناير ١٨١٣م [٣١]، وبعد أسبوعين من دخول مكة تحت سلطة الباشا هاجم مدينة الطائف ومعه قوات الشريف غالب [٣٢].

ووقع المضايفي أسيراً في يد قبيلة عتيبة فقاموا بإرساله إلى الشريف غالب الذي قدم لهم كمكافأة مالية كبيرة، وأحضر إلى طوسون الذي أرسله للقاهرة ثم إلى استانبول مع إسماعيل محمد علي باشا ومعه مفاتيح المدينتين المقدستين للتقرب للباب العالي وأعدم القائد السعودي عثمان المضايفي. واحتلت السيادة التركية مناطق الحجاز الرئيسية مكة والمدينة وجدة وينبع و الطائف[٣٣]. ثم كانت حملتها على تربة التي اختلف المؤرخون في وصفها، فابن بشر يذكر استيلاء مصطفى بك على الطائف، والتحرك السعودي إزاء التوسع المصري –العثماني في الأراضي الحجازية، مشيراً إلى توجه الإمام سعود بن عبدالعزيز إلى الحناكية، ثم يتحدث مباشرة عن حصار مصطفى بك لتربة[٣٤]. ويذكر بوركهارت وإدوارد جوان أن الهدف من الهجوم على تربة إفساد خطة القوات السعودية الذين اتخذوا من تربة قاعدة لهم ينطلقون منها لمهاجمة الحملة المصرية –العثمانية فهي تعد أحد المراكز الهامة التي تصل

(٢٩) أحمد أغا الملقب "بونابرت "أحد قادة محمد علي باشا من الأرناؤوط اتصف بالقوة والبطش " بوركهارت: المصدر السابق، ص٤٥٤.
(٣٠) بوركهارت: ملاحظات على البدو والوهابيين، ص٤٦٥.
(٣١) رسالة استلام الوالي محمد علي باشا رسالة من ابنه طوسون باشا تحتوي على التفصيلات بخصوص استرداد مكة وجدة "رقم الوثيقة ١٩٥٦٩، الوثائق العثمانية، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.
(٣٢) المصدر نفسه والصفحة.
(٣٣) بوركهارت: المصدر نفسه، ص٤٦٩.
(٣٤) ابن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، ص٣٣١-٣٣٤.

القوات السعودية في نجد بأتباعها في عسير والمناطق الجنوبية[٣٥]. وأما عبدالرحيم عبدالرحمن فيوضح أن السعوديين رغبوا في استدراج قوات طوسون باشا على الداخل حيث الصحاري ومحاولة إبعاده من مراكز تموينها وقطع خطوط مواصلاته حتى يسهل إيقاع الهزيمة بها[٣٦]. ويمكننا القول بعد هذه الأقوال إن من أسباب الحملة العمل على إفساد خطة قادة الدرعية التي كانت تقوم على مهاجمة الحملة المصرية العثمانية ومنعها من التقدم باستدراجها إلى حرب صحراوية مكشوفة قد تكون نهاية الدولة السعودية الأولى. ويتفق مع هذا الرأي ابن بشر إذ ذكر بتوجه الإمام سعود إلى الحناكية و ابنه فيصل توجه نحو تربة حيث اتخذها مركزاً له، ويبدو أنه جعل منها قاعدة له و نقطة التقاء القوات الجنوبية من بلاد زهران بقيادة بخروش وعسير ورجال المع بقيادة طامي بن شعيب وبن شكبان من بيشة وابن دهمان وابن قطنان من رنية وابن حطامل من شهران في منطقة تربة، المعقل الرئيسي الذي يصل قبائل نجد بالقبائل الجنوبية ونقطة تجمع القوات السعودية الأولى بأتباعها[٣٧]. وفي ذو القعدة ١٢٢٨هـ/ نوفمبر ١٨١٣م زحف الجيش المصري صاحب المبادرة بقيادة مصطفى بك رئيس الفرسان على رأس حملة عددها ٢٠٠٠[٣٨] من الرجال تجاه تربة فهزم هزيمة نكراء. وأجبرت القوات المصرية على إخلاء معسكرها وترك أمتعتها وأسلحتها ومؤنها وتجاوز عدد القتلى مئات من رجاله فقدرهم بوركهارت بأربعمئة وخمسين جندياً في حين ذهب جوان إلى أنهم ستمائة جندي ومهما كان من اختلاف في تقدير عدد القتلى فهذا دليل على شر هزيمة لحقت بقوات محمد علي باشا، فقد اشارت د. دلال مخلد الحربي بأن الوادي الذي دارت به المعركة وادي السليم عرف بعد المعركة باسم وادي "ريحان" لامتلائه بالجثث[٣٩]. وحققت حملة القوات السعودية انتصاراً في تأديب القبائل المنظمة للباشا، وانتصار القوات الثانية بقيادة ابنه فيصل على قوات مصطفى بك[٤٠] لقطع الصلات بين المدينة ومكة

(٣٥) إدوارد جوان: مصر في القرن التاسع عشر، سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم باشا والمغفور له سليمان باشا الفرنسي من الوجوه الحربية والسياسية والقصصية. ترجمة محمد مسعود، ط٢، القاهرة، (د.ن)١٣٥٠هـ/١٩٣١م، ص ٤٥٤.

(٣٦) عبدالرحيم عبدالرحمن: الدولة السعودية الأولى، ط٤، القاهرة، دار الكتاب الجامعي ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، جـ١، ص٣٢٠.

(٣٧) ابن بشر: مصدر سابق، ص ٣٣١.

(٣٨) إدوارد جوان: مصر في القرن التاسع عشر، ص٤٥٥.

(٣٩) وقعت المعركة بين العرب والترك أخذت غالية تلهب الحماس في العرب فزادت فيهم روح الإقدام، وكانت راكبة فرساً وتقاتل معهم ببسالة وتردد أهازيج الحرب حتى أشيع بينهم أن الجن يقاتلون معها، وصورها بعض حكماء الأتراك آنذاك بالأسطورة الفائقة) دلال مخلد الحربي: غالية البقمية حياتها ودورها في مقاومة حملة محمد علي باشا على تربة، ١٤٣٤هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص٥٣.

(٤٠) ابن بشر ٣٣٢-٣٣٤.

ومحاولة تهديد الحجاز من ناحية الجنوب والذي طلب فيها طوسون باشا الصلح رغبة منه تأخير القوات السعودية في التقدم عليهم حتى تصل الإمدادات من مصر. وأشار بوركهارت إلى أن أغلب هؤلاء العرب –المقاومين في المواجهات الأولى في منطقة الحجاز من قوات قبائل عسير(٤١). وعلى الفور توجه مصطفى بك إلى مكة حيث قابل طوسون في وضع سيئ للغاية، وأحاط طوسون والده بأمر الهزيمة التي لحقت بالقوات المصرية التركية، فغضب غضبا شديدا وأمر مصطفى بك بالعودة إلى مصر(٤٢). ويذكر القنصل البريطاني في القاهرة أنه مع الفوضى التي عمت مخيم طوسون "تمكن القليل من الجند الفرار، ووقعت جميع المعدات والأمتعة والجمال والمدافع والذخيرة في أيدي العرب"(٤٣).

❁ أولاً: معركة القنفذة ١٢٢٩هـ / ١٨١٣م:

ما كاد محمد علي يقف على حقيقة موقف ابنه طوسون والهزائم التي تعرض لها وتحديات الطبيعة والمناخ. حتى أخذ يركز كل جهده في التخطيط الحربي الذي تقتضيه هذه المرحلة من الحرب ودرس بعمق أسباب الهزيمة و ظروفها، ومن ثم العمل على تلافي سلبياتها، وتم التخطيط والإعلان بأنه سوف يتم إرسال حملة أخرى إلى تربة بعد رمضان(٤٤). إلى جانب قرار عمل خطة جديدة يحول أنظار القوات السعودية عن نقطة الهجوم الأساسية فجهز حملة بحرية من جدة وأرسل أسطولا مسلحاً يضم أكثر من أربعين سفينة محملة بالجنود والعتاد و بقوة قوامها ١٥٠٠ من المشاة إلى القنفذة سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م رغبة من الباشا ابعاد قوات الجنوب عن منطقة الحجاز بإشغالهم بمناطق أخرى، وإدراكه لصعوبة المواجهة البرية معهم ففضل ميناء القنفذة لوجود اسطوله البحري على الميناء(٤٥)، وتمهيداً للسيطرة على اليمن ومنافذ البحر الأحمر وحرصهم الشديد على امتلاك

(٤١) أحيانا يطلق الكاتب عسير على القوات التي تسكن جنوب الجزيرة كبلاد غامد وزهران وعسير والتي أبدت مقاومة عنيفة لمحمد علي . بوركهارت: مصدر سابق، ص٤٦٤.

(٤٢) بوركهارت: المصدر السابق، ص٤٨٣.

(٤٣) Fo24/5 رسالة من القنصل البريطاني في القاهرة إلى وزارة الخارجية البريطانية، مؤرخه في ٦يونيو ١٨١٤م/١٧جمادى الآخرة ١٢٢٩هـ.

(٤٤) وثيقة بعنوان "إدخال الأسلحة من سواحل عسير "رقم الوثيقة ٢٥٥/٢٥١ وتاريخ ١٣٢١/١١/٢٧هـ، الوثائق العثمانية، دارة الملك عبدالعزيز للبحوث، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٤٥) Fo24/5 رسالة من القنصل البريطاني في القاهرة إلى وزارة الخارجية البريطانية، مؤرخه في ٦يونيو ١٨١٤م/ ١٧جمادى الآخرة ١٢٢٩هـ.

السواحل لإيصال المؤن والأسلحة [٤٦]. كانت القنفذة خاضعة لحكم طامي بن شعيب حيث أمر عليها حامية صغيرة لا يزيد عدد أفرادها على خمسمائة فارس تسير الأمن داخلها وتراقب مينائها البحري الهام، وعندما وصلت الأخبار عن قرب وصول حملة الباشا إلى ميناء القنفذة فضل الأمير طامي بن شعيب الانسحاب من الميناء حتى يتدبر أمره بتكوين جيش قوي يستطيع الوقوف في وجه قوات محمد علي باشا. لأنه علم ان قواته جدا صغيرة ولا تستطيع أن تواجه قوة بحرية قادمة عليها ما يزيد على ألف وخمسمائة جندي مدربين على جميع فنون القتال ولديهم من الأسلحة والذخائر ووصلت قوات محمد علي باشا على رأسها القائدان حسين آغا، وسايم أوغلو على رأس قواتهم المحمولة بحرا عن طريق ميناء جدة اكتملت صفوف الجيش في بلدة القنفذة بجيش لا يقل عن ألف وخمسمائة جندي مدربين على مواجهة أشرس المخاطر[٤٧]. وعند دخول القوات العثمانية سرى القائدان من تحصينات البلدة التي يحيطها سور كبير لا يستطيع أبناء القبائل من زهران وغامد وعسير الذين لا يملكون الأسلحة والبنادق أنْ تخترق السور فأسلحتهم قائمة على الأسلحة البيضاء كالسيوف والخناجر، والمشكلة الوحيدة التي واجهتهم هي مصادر المياه العذبة التي تبعد عن البلدة ما يقارب مسيرة ثلاث ساعات وقريبة من الجبال. لذلك عملوا على بناء تحصينات محمية بعدة أبراج متصلة من آبار الماء حتى أسوار بلدة القنفذة، ووضع القائدان بالقرب من مصادر المياه ما يقارب من مئة وخمسين جندياً من الأرناؤوط ذات أصول مقدونية. واستطاعوا إخضاعها في محرم١٢٢٩هـ/ مارس ١٨١٤م[٤٨]. وبدا موقع القنفذة مفيدا لتوجيه الهجمات والضربات ضد القبائل بالاتفاق مع القوة المتمركزة في الطائف وسر محمد علي بهذا النجاح وأمرهم أن يحصنوا المدينة ويجعلوها موقعا عسكريا، وبالفعل نجحت التحصينات وكانت قادرة على مقاومة لجيش القوات الجنوبية الذي لا يملك المدفعية والبنادق الكافية[٤٩].

على الجهة الأخرى بدأ طامي بن شعيب في الاتصال بالأمير بخروش بن علاس الزهراني، وذلك من أجل التخطيط سوياً للقضاء على تلك الحامية التركية المتواجدة في بلدة القنفذة وبعد مضي عشرين يوماً تحرك طامي على رأس قواته العسيرية قاصداً بلدة القنفذة، بينما كان بخروش وقبائله مستقرين على مقربة من بلدة المظيلف، وبعد تقابل الحليفين

(٤٦) بوركهارت: مصدر سابق، ص٤٨٢.
(٤٧) بوركهارت: مصدر سابق، ص٤٨٢.
(٤٨) المصدر نفسه، ص٤٨٣.
(٤٩) المصدر نفسه، ص٤٨٤.

توجهوا بقواتهم باتجاه بلدة القنفذة ليفاجئوا القوات الأرناؤوطية التي يصل عددها حوالي١٥٠ بالقرب من مصادر المياه بجيش ضخم يقارب العشرة آلاف من القوات لتبدأ المعركة ولتقاوم الميليشيات رابعة من نهار، ذلك لأنّ الجيش الشعبي بقيادة بخروش وطامي لا يمتلكون إلا أنواع قليلة من البنادق البدائية والسيوف، لكن غلبت شجاعة قوات الجنوب على ميليشيا محمد علي باشا وبدأت بالتقهقر ناحية بلدة القنفذة وبدأ الخوف والهلع ينتشر بين القوات بسبب هروب القوات الأرناؤوطي وفقد القائدان السيطرة على خوف الجيش وشعروا أنً عادة التنظيم والتوجيه امراً مستحيلاً فانطلقت أقدام القوات العثمانية تسابق الريح باتجاه مياه البحر في محاولة يائسة للصعود على أسطح السفن الراسية في الميناء(٥٠). أما بخروش بن علاس وطامي بن شعيب واصلوا المسير إلى داخل بلدة القنفذة وتمكنوا من القضاء على عدد من الجنود العثمانيين والخدم التابعين لهم. وقد عبر الكاتب التاريخي جيرالد دو غوري عن المشهد (وقد ذبح كثير منهم يقصد بذلك القوات العثمانية داخل الماء بالقرب من السفن). وأكمل قوله (سبحوا خلفهم والسيوف بين أسنانهم وحاربوهم داخل الماء). ثم أخبر أحد الأتراك قائلا (وقد نجا القائد التركي بنفسه، و اصبح على ظهر السفينة أمرا للتو أن ترفع الأشرعة استعداداً للانطلاق السريع أدرك للموت كل من لم يستطيع الصعود إلى السفينة) وقوله (كانت السفن لا تحتوي على كثير من الماء والزاد وقد توفي كثير من البحارة والجنود في هذه المسافة القصيرة بين القنفذة وجدة) (٥١). والغنائم التي وقعت في أيديهم من الخيول والجمال والبنادق لذلك سميت المعركة بالسلب. حيث صادر طامي كل ما أحضره المصريون إلى القنفذة فقد بلغ عدد الخيول ٥٠٠ من الخيل وأكثر من ١٠٠٠خيمة (٥٢).

وبالرغم من الهزيمة التي حلت بجيش محمد علي باشا في القنفذة، وهزيمة حملته البرية التي تقدر بـ٢٠٠٠ من الجنود بقيادة ابنه طوسون باشا في تربة لم تثني من عزائمه بل أسس مركزاً رئيسياً في الطائف(٥٣). إدراكاً منه بأهمية المنطقة الواقعة جنوب الطائف ولامجال للقضاء على الدولة السعودية الأولى في ظل وجود هذه القوة الجنوبية وقرر الصعود

(٥٠) بوركهارت: مصدر سابق، ص٣٨٥.
(٥١) جيرالد دو غوري :حكام مكة، مكتبة مدبولي، ص٢٧٢، ابن بشر :تاريخ نجد، ص٢١٧.
(٥٢) سير هارفارد جونز بريد جز :موجز عن تاريخ الوهابية، لندن، ١٨٣٤م،جـ٢،ص٧٦.
(٥٣) بوركهارت: المصدر نفسه ، ٤٨٥.

بنفسه إلى الطائف لمباشرة الأمور الحربية بنفسه بدلاً من إدارتها من جدة[٥٤]، كما طلب إمدادات عسكرية من مصر[٥٥]. وبدء بدراسة نقاط الضعف والقوة للقوات السعودية أدرك أن ليس لديهم من الأسلحة سوى التقليدية كالسيوف والرماح وعدد ليس كاف من الخيول، مما يصعب عليهم المواجهة للقوات التركية في الأرض المكشوفة. وهذه نقطة أكد عليها كذلك الإمام سعود قبل وفاته في وصيته لأبنه عبدالله بقولة: "لا تقاتل الأتراك في أرض مكشوفة"[٥٦] وعمل على استمالة القبائل بدفع المال وإقامة علاقات حسن الجوار وصداقة معهم كقبائل هذيل، وثقيف، وبني سعد وعتيبة حيث بلغ عددهم في وقت قصير حوالي ٥٠٠ من رجال القبائل المذكورة[٥٧].

وذكر في رسالة إلى السلطان: بأن المنطقة الواقعة جنوب الطائف هي مكان تجمع القوى التي تسكن هذه الجبال العالية والوعرة والصعبة، إذ إن هذه القبائل هي المصدر الرئيسي في دعم الدرعية، وهي مركز قلب قوتها، وإذا ما كتب للقانون والنظام أن يسود هذه الجبال سيكون من السهل التفكير في السيطرة على الدرعية وحل هذه المعضلة[٥٨]. وبدأ بتغيير خططه لمواجهة القوات الجنوبية وقبائل الجنوب التي لم تتلق الدعم الكافي من القبائل الشمالية لشبه الجزيرة العربية ولا الدعم أيضا من الحكومة المركزية، وكذلك عدم توحد القوات السعودية تحت قيادة موحدة وعدم إدارة القتال بشكل منظم ضد قوات محمد علي باشا وعدم استغلال الظروف لهزيمة قواته في تربة والقنفذة، أدى الى عدم فاعلية الانتصارات

(٥٤) ذهب محمد علي باشا بنفسه لمقاتلة قبائل السراة والقوات الجنوبية، في حين أرسل ابنه إلى الدرعية وربما يعود سبب ذلك في كون غامد وزهران وعسير هم الشوكة العسكرية القوية التي ساهمت مع غيرها من القبائل في توحيد الجزيرة العربية تحت لواء الدولة السعودية الأولى بل هي أقوى القبائل وأكثرها أثرا وأعظمها دورا في تلك الفترة فقد وقفت صامدة في المعارك ضد قوات مجمد علي باشا في الطائف وتربة وناصرة بني الحارث وبسل ولم تستلم مثل بقية القبائل التي خضعت لمحمد علي باشا وقبلت طاعته وتلقت من الأموال والهدايا كقبائل هذيل، وثقيف، وبني سعد وعتيبة، إضافة إلى منطقة القوات الجنوبية مركزاً تموينيا استراتيجيا للحجاز أي للأشراف الذين حرصوا على إخضاعها منذ البداية، كما جاء ذكر ذلك مسبقاً في علاقة اشراف مكة بقبائل بلاد غامد وزهران وعسير.

(٥٥) المصدر نفسه والصفحة.

(٥٦) المصدر نفسه، ص٤٨٩.

(٥٧) المصدر نفسه والصفحة .

(٥٨) محمد علي في رسالة إلى السلطان بدون تاريخ، صورة عن الوثيقة رقم ١٩٥٩٤، من سجلات رئاسة مجلس الوزراء في استانبول ، صورة منها مودعة في دارة الملك عبدالعزيز للبحوث، الرياض.

السابقة وضياع مجهود القوات الجنوبية بقيادة بخروش بن علاس وطامي بن شعيب خصوصا بعد وفاة الإمام سعود في جمادى الأولى عام ١٢٢٩هـ/١٨١٤م، وتولي الإمام عبدالله بن سعود ونشوب خلاف مع أعمامه للوصول للحكم حتى استقر علماء الدرعية أخيراً على مبايعة عبدالله بن سعود في عام ١٢٢٩هـ/ مايو ١٨١٤م(٥٩).

وذكر بوركهارت أنه "كان يفوق والده شجاعة لكنه كان أقل دراية منه بمداراة القبائل". وقوله: "ولم يجد الوهابيون الجنوبيون، الذين كانوا حينذاك أكثر تعرضاً للهجمات عوناً من القبائل الشمالية التي كان من الممكن أن يساعدهم فرسانها بشكل أساسي، ولذلك فإن الباشا أصبح يقاتل قبائل منفردة أكثر ما يقابل قوة متحدة"(٦٠).وافتقد بخروش الدعم اللوجستي من قبل القوات الشمالية .

❁ ثانياً: موقعة وادي قريش بزهران:

بعد موقعة القنفذة والتي ظهرت فيها شجاعة بخروش وجيشه خصوصا تغيير آلية الخطط في مواجهة الدولة العثمانية فلم يعتمد على المواجهة الصريحة مع القوات وإنما طرائق حرب العصابات بالإغارة على خط الإمدادات العثمانية وقطعت خطوط الإمداد بين مكة وجدة عدة مرات بواسطة رجال القبائل الجنوبية زهران وغامد وعسير، وبضرب الأهداف المتحركة ذات الدفاعات المتماسكة والتحصينات القوية(٦١). ولم يكتفي بخروش بن علاس وقواته بالحرب العسكرية والنفسية على القوات المصرية والتركية بل لجأ إلى الحرب الاقتصادية والضغط الاقتصادي على مكة والقبائل التي مالت إلى قوات محمد علي باشا فقطعت ثلث إمدادها من التموين(٦٢). ويذكر بوركهارت: "أن أسعار كل المواد الضرورية ارتفعت في الطائف والمدينة، لدرجة أن الجنود لم يستطيعوا شراء الخبز والبصل طعامهم

(٥٩) بوركهارت: مصدر سابق، ٤٩١.
(٦٠) المصدر نفسه و الصفحة.
(٦١) بوركهارت/المصدر السابق، ص٤٩٩.
(٦٢) ويقول في ذلك أبن المجاور في اعتماد مناطق الحجاز على سراة بلاد غامد وزهران "وجميع زروعهم الحنطة والشعير، وشجرهم الكروم والرمان واللوز، ويوجد عندهم من جميع الفواكه والخيرات، وأكلهم السمن والعسل، وهم في ودعة الله وأمانه ..." "..تتضح أهمية بلاد السراة لحواضر الحجاز الرئيسية وبخاصة للجانب الاقتصادي، كانت تصدر من أرض السراة إلى أسواق الطائف ومكة جل الحبوب والمزروعات والحيوانات، ومن ثم يحصل السرويون على ما يحتاجونه من الأقمشة من الأسواق الحجازية "جمال الدين ابن المجاور :تاريخ المستبصر (ليدن: بريل، ١٩٥١-١٩٥٤م)،ج١،ص٢٦.

الوحيد إلا بشق الأنفس، والعديد منهم باعوا أسلحتهم وثيابهم، وتوالى ارتفاع أسعار السلع حتى زادت بنسبة١٥٠٪عن مثيلتها في مصر. وهكذا كان موقف المصريين والأتراك موقف المدافع "[٦٣]. بل كان محمد علي يخشى قوة بخروش حيث كانت اغلب رسائله تنعته بألقاب كـ(الكافر –الملعون –الشقي –المفسد–المحرش) وكان يوصي جنوده دائما بالتخلص من بخروش الخصم الأساسي للأتراك[٦٤].

وفي رمضان ١٢٢٩هـ / سبتمبر ١٨١٤م جهز الباشا جيش إضافي وصل حديثاً من القاهرة من جنسيات مختلفة من المغاربة والمصريين والأتراك تحت إمرة عابدين بك رجل الحرب الأول وضابط الرتب العليا في الجيش العثماني بعد أن تواصل عابدين بك مع إبراهيم أفندي وطلب الإمدادات منه، وأرسل كشفاً بكل ما يحتاجه من خيرة وإمدادات لمحاصرة بخروش في عقر داره[٦٥]، فرفع إبراهيم أفندي طلبه إلى محمد علي وكان موجوداً آنذاك في الأراضي الحجازية، و ما لبث أن تلقى إبراهيم الموافقة على طلب عابدين بك، وابلغه بحضوره شخصياً إلى (كلاخ) [٦٦]. ليباشر الأوضاع بنفسه[٦٧]، وأصبح تعداد الجنود الذين يعملون بإمرة محمد علي باشا ٤٣٠٠جندي موزعين في الحجاز منهم ١٢٠٠من الخيالة مع عابدين بك، وأخوه حسن باشا. واختلف بعض المؤرخين في تحديد عدد الجيش مع عابدين

(٦٣) بوركهارت: المصدر السابق، ص٤٨٧.

(٦٤) وقد جاء في احد رسائل محمد علي باشا للسلطان العثماني عندما تحركت قواته نحو بلاد زهران خطاباً جاء فيه :"ثم تحركنا إلى زهران، وكان عليها أمير يدعى :بخروش، رجل (ملعون)معه بضعة آلاف من أتباعه.. منير العجلاني :تاريخ البلاد العربية السعودية، الدولة السعودية الأولى، عهد عبدالله بن سعودط٢،الرياض، دار الشبل، ١٤١٧هـ/١٩٩٣م، جـ٣. ص٤٣، كما أطلق عليه الشريف يحيى بن سرور شريف مكة ألقاب مثلما كان يطلقها محمد =علي باشا فقد جأء في احد رسائله المرفوعة إلى محمد علي "قد جاءنا كتاب من الشريف شرف، وهو صادر لجنابكم وأرسل معه كتاب لجنابكم من بخروش الزهراني الخبيث، جواب كتابكم ...من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي :إعداد وتحقيق د.عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، دار الكتاب الجامعي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص٤٤٩.

(٦٥) انظر وثيقة عابدين بك يطلب الإمدادات لمحاصرة "بخروش "تاريخ ٧شوال ١٢٢٩هـ-٢٢سبتمبر ١٨١٤م. عبدالرحيم عبدالرحمن: من وثائق الدولة السعودية الأولى، ص٤٦٤.

(٦٦) كلاخ: أسفل وادي بسل جنوب الطائف يسكنها قبيلة النفعة من عتيبة. محمد بن عبدالله ابن بليهد :صحيح الأخبار عما جاء في بلاد العرب من الآثار، ط٢ (د.ن)١٣٩٢هـ/١٩٧٢م،مج ٤،ص١٩٢.

(٦٧) عبدالرحيم عبدالرحمن: من وثائق الدولة السعودية الأولى، ص٤٦٤.

[٦٨]، اما الأمير بخروش كانت تجهيزاته بسيطة لا يزيد عدد الجيش عن ثلاثة آلاف مقاتل من أبناء القبيلة تم تدريبهم على الدفاع والهجوم وكانت نقطة تدريبهم وتجمعهم في قرية وادي قريش بزهران مقر الأمير بخروش[٦٩]. وصلت اسماع حملة محمد علي باشا والتجهيز الكبير لها إلى الإمام عبدالله بن سعود آخر حكام الدولة السعودية الأولى فأرسل إلى القائد طامي بن شعيب يطلب منه ضرورة التوجه بجيش لدعم قوات بخروش، فقام القائد طامي بتجهيز جيشه من العسيريين ورجال ألمع، كما شارك ابطال ومشايخ القبائل الجنوبية لصد الزحف التركي [٧٠].

وبعد وصول الإمدادات إلى الأمير بخروش قسم الجيش الجنوبي إلى ثلاثة فرق:

الفرقة الأولى: مهمتها القتال من داخل الحصون المنتشرة بوادي قريش والهدف منها إشغال الجيش العثماني الكبير بمعارك جانبية، ومحاولة تقسيم صفوفهم إلى عدة أقسام.

الفرقة الثانية: وهي فرقة الهجوم، مركزها أعالي الجبال ومقراً خفيا لتواجدها، حيث تعمل على مبدأ الخطة الحربية المعروفة بالهجوم السريع والمباغت على الخصم، ويبدأ عملها مع بدء معارك القوات العثمانية مع المتحصنين في القلاع والحصون من الفرقة الأولى وربما خطته هذه تشعل نار الخوف في قلوب العثمانيين لأنها توحي بأن أعداد الجيش مع بخروش كبير وتشتت جهدهم بين الفرقتين.

الفرقة الثالثة: هذه الفرقة الأقل عدداً والأكثر خطراً قائمه على مبدأ الكر والفر القتل والهروب وضرب الإمدادات الخلفية للقوات العثمانية قبل وصولهم لساحة المعركة وكأنها عصابات مسلحة ساعدها على ذلك كثرة الجبل وتحصنها ومعرفتهم بالطرق بحكم أن ارض المعركة هي بلدتهم [٧١].

---

(٦٨) يذكر علي بن سدران في كتابه بطون قبيلة زهران ان عددهم عشرين ألفاً من المصريين والمغاربة والأتراك.

(٦٩) ابن بشر: مصدر سابق، ص٢٥.

(٧٠) يوجد برج للمراقبة عن الشرق لإصطبل الخيل خارج القلعة للأمير بخروش بن علاس والبرج حصن دائري، يسمى كاشف، يمتاز بمتانة بنائه، وهو مكون من طابقين، أعد للمراقبة والدفاع، له باب صغير في جهته الغربية يفتح إلى داخل الاصطبل، ويبلغ قطره من الداخل مترين، وارتفاعه حوالي ثمانية أمتار، وبه عدة فتحات حربية وقد تهدم معظم طابقه العلوي .علي بن سدران :بطون قبيلة زهران، ص٥٣١.

(٧١) ابن بشر: مصدر سابق ص٢١٨.

في شهر شوال من العام ١٢٢٩هـ /١٨١٤م احتدمت المعركة وسارت القوات العثمانية من مكة والطائف باتجاه بخروش، لتبدأ المعركة حيث قضت اليوم الأول كله في ضرب المتحصنين في القلاع والحصون وإطلاق متبادل للنار من الجانبين، وفي صباح اليوم الثاني بدأت خطة فك الكماشة التي وضعها الأمير بخروش وهي خروج القوات من أعالي الجبال التي اخذت في ضرب القوات العثمانية وأصبحت القوات العثمانية في موقف الدفاع بدلا من الهجوم مما اعطى إشارة للمتحصنين بالخروج فأصبحت القوات العثمانية بين قوتين من أعالي الجبال وخروج المتحصنون من الحصون والقلاع. واستمر القتال ساعات وقتل اعدادا كبيرة من القوات العثمانية تزيد عن ألف جندي، ولم يجد عابدين بك بدا من الانسحاب بعد تقهقر الجيش العثماني وهروبه من ارض المعركة إلى لية التي تبعد أربع ساعات عن الطائف وتلقى عابدين بك تعزيزات من الطائف وكلاخ لكن لم يستطع الصمود في وجه بخروش وقواته. وقد وصفت كتب التاريخ بأنها هزيمة شنعاء. فذكر صلاح الدين المختار قائلا: (ولولا وفرة الخيل لدى القوات المعتدية، يقصد القوات العثمانية، لما سلم من رجالها أحد)(٧٢).

ورغم ذلك كله لم يقتنع رجل الحرب الأول بخروش بن علاس بهزيمة العثمانيين، بل بدأ بمطاردة فلولهم المهزومة لمدة يومين حتى وصل إلى أسوار الطائف وضرب عليهم حصار شديد على أسوارها(٧٣)، وأرسل بخروش رسالته التاريخية إلى محمد علي باشا والتي قال فيها. .(إذا كانت هذه جنودك، فخير لك أن تعود إلى حرمك، والتمتع بمنظر مياه النيل، وإلا فأحضر رجالا غيرهم). كما أشار بوركهارت بعد هذه الهزائم لجيش الباشا ان محمد علي باشا أعلن خبر يعارض الحقيقة ويخالفها وهو خبر الانتصار على قوات بخروش، وازدانت القاهرة ثلاثة أيام، وأطلقت المدافع في الطائف احتفالا بهذا النصر لقوات عابدين بك(٧٤)، والحقيقة إن هذه الإشاعات التي أطلقها محمد علي والاحتفالات ماهي إلا انعكاس للمخاوف التي راودت محمد علي جراء انتصار قوات بخروش بن علاس وقوة صموده في وجه القوات التركية والمصرية، كما انه خشي انضمام القبائل الشمالية التابعة له إلى جانب القوات السعودية وبخروش، كما أراد بذلك الدعم المالي من السلطان العثماني بعد

(٧٢) صلاح المختار: مرجع سابق ص ٢١٥.
(٧٣) بوركهارت: مصدر السابق، ص ٤٩٩، بريد جز: موجز عن تاريخ الوهابية، جـ٢، ص ٨٤.
(٧٤) بوركهارت، ص٥٠٠. كما ذكر جيرالد دو غوري: مصر في القرن التاسع عشر ص ٤٢٤ "وقتل في هذه الواقعة ٨٠٠جندي وثمانين من الخيل".

إشاعة أخبار الانتصار. والحقيقة أنْ القوات السعودية لم تستطيع استغلال حالة النصر التي حققها جيش بخروش على قوات محمد علي عند اللحاق بهم الى الطائف وعدم استغلال ظروف النصر التي حققها بخروش وجيشه مما أدى إلى عدم فاعلية النصر. وقد أشار بوركهارت إلى مثل ذلك فقال: "ولم يجد الوهابيون الجنوبيون، الذين كانوا حينذاك أكثر تعرضاً للهجمات عوناً من القبائل الشمالية التي كان من الممكن أن يساعدهم فرسانها بشكل أساسي. ولذلك فإن الباشا أصبح يقاتل قبائل منفردة أكثر مما يقابل قوة متحدة "[٧٥]. وربما ذلك بسبب عدم إدارة القبائل بشكل منظم و توحيد جهود جيوش القبائل، لاسيما الهزائم المتكررة التي لحقت بقوات الباشا في بلاد زهران والقنفذة لربما لو لحقت هذه القوات بجيش محمد علي إلى الطائف لتبدلت أحوال مصير الدولة السعودية الأولى، خصوصا ان في هذا الوقت ثارت بعض قبائل الشمال التابع لمحمد علي على القوات المصرية بعد إهانة و قتل شيخ حرب من قبل والي المدينة المنورة، لكن على الفور أدرك خطورة الموقف محمد علي باشا ولكي لا يقع بين فكي كماشة قبائل الشمال بقيادة حرب من الشمال، وقبائل زهران بقيادة بخروش من الجنوب في حال استمرار ثورة قبائل حرب، فقاموا بقطع الطريق بين ينبع والمدينة لكنه تدارك الأمر و أرسل ابنه طوسون باشا إلى عقد الصلح مع القبائل الثائرة من حرب وابلغهم بأن محمد علي قتل والي المدينة ودفع لهم أموال كثيرة لامتصاص غضبهم[٧٦].

❁ ثالثاً: موقعة ناصـرة بلحـارث:

بعد الهزيمة التي اصابت القوات العثمانية بموقعة وادي قريش بزهران تقدمت فرقة كبيرة من الجيش العثماني بقيادة عابدين بك إلى ناصرة بلحارث[٧٧] واتخذوا منها مواقع متقدمة لهم مع حدود قبيلة زهران، وكان الهدف من هذه المواقع المتقدمة هو منع الهجوم المتكرر من القبائل الجنوبية. حيث قامت ببناء الثكنات العسكرية، وجعلت من بلدة الناصرة ببلحارث حصنا منيعا ومركزاً عسكرياً تستطيع من خلاله القوات العثمانية الهجوم على بلاد زهران وغامد وعسير في أي وقت شاءت ثم الرجوع إلى حصنها المنيع بدلا من الرجوع للطائف، وأمر عابدين بك جنوده بتدمير وتخريب المنطقة على مسافة ٤٠ميلاً من حولهم.

(٧٥) المصدر نفسه، ص١٥٤.
(٧٦) المصدر نفسه، ص٤٩٧-٤٩٨.
(٧٧) ناصرة: يذكر بعض المؤرخين انها من ثقيف، والبعض يذكر أنها من بني الحارث القاطنة جنوب الطائف .انظر عاتق البلادي :معجم قبائل الحجاز، ص٥٢٥.

وقد دمروا وعطلوا كل شيء حتى لا يخدم القوات الجنوبية، لكن هذا القرار أصبح في غير صالحهم وادى الى ندرة المؤن للجيش التركي وحدا بالجنود الانتشار في كل منطقة بحثاً عن المؤن(٧٨). وصلت الأنباء إلى بخروش فعقد العزم على المسير إلى بلدة الناصرة خشية من ان تصبح بلدة "ناصرة " بلحارث حصنا منيعا، ومركزا عسكريا تستطيع من خلاله القوات العثمانية الهجوم على بلاده بأي وقت. فقام بجمع ألوية مقاتلي قبيلة زهران وغامد وأرسلت له التعزيزات من المشاة من قبل طامي بن شعيب(٧٩) بالقرب من الناصرة فعمل على توزيع مقاتليه إلى فرق إدراكاً منه صعوبة المواجهة المباشرة والمكشوفة مع القوات العثمانية التي تستنزف الموارد البشرية والقتالية. وخطتها محاولة تجاوز الأسوار وجذب الأتراك للانشغال بساحات الحصن الداخلية للقيام بعملية تطهير الساحات من العنصر الدخيل، وكان بخروش على يقين بأن المواجهة مع القوات العثمانية لن تجر عليه إلا الهزيمة وما ذلك إلا للفرق الشاسع بين تسليح الفريقين، وفي صبيحة يوم شديد البرودة جد بخروش ومقاتليه بالسير لمفاجئة القوات الأوربية في قرة الصباح الأولى وتسللوا إلى وسط المعسكر العثماني ولم يشعر بهم أحد وربما قلة عددهم ساعدتهم على ذلك، وفجأة وقبل أن تطلق المزامير الحربية أصواتها المكلومة، بدأ بخروش ورفاقه في تدمير كل شيء ونهب مركزهم الرئيس بقرية بجيلة المحصنة (٨٠). يقول جيرالد دو غوري عن تلك المفاجأة الدموية قائلاً (وهكذا فإن الأتراك قد أضاعوا كل خيامهم مرة أخرى، وكل معداتهم الحربية الثقيلة، وحوائجهم الشخصية وتموينهم). ونجحت خطته حيث استطاع هدم وحرق أجزاء كبيرة من الحصن والقضاء على فلول الحامية العثمانية(٨١).

❁ رابعاً: معركة بسل:

عزم محمد علي باشا بعد الهزيمة النكراء مع القوات السعودية واتباعها من القبائل الجنوبية على حسم المعركة مع القبائل الجنوبية التي أنهكت قواته واستنفذت الكثير من جهده ووقته في سبيل تحقيق اطماعه. لذلك أوقف المعارك وأخذ يفكر في الوسائل والطرق التي يتخذها لإعادة ترتيب جيشه واتخاذ التدابير اللازمة منها استمالة بعض القبائل البدوية

(٧٨) إدوارد جوان: مصر في القرن التاسع عشر، ترجمة محمد مسعود، القاهرة، ١٩٣١م، ص٤٢٤.
(٧٩) وذكر بوركهارت كان جيش عسير بقيادة بخروش ص ٤٩٢.
(٨٠) المصدر نفسه، ص٥٠٣.
(٨١) محمد علي باشا إلى السلطان، وثيقة رقم ١٩٥٩٤، أ- أكس، بدون تاريخ، موجودة في سجلات رئاسة مجلس الوزراء في استانبول، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

مثل البعض من عتيبة وحرب وجهينة والإنفاق عليها بسخاء، واستقدام جيش من بدو ليبيا وغيرهم من المغاربة وطلب من القافلة السورية والحجاج المصريين بعد انتهاء موسم الحج تزويده بـ٤٠٠٠ من الجمال التي كانت مع الحجاج السوريين و٢٥٠٠ جمل مع الحجاج المصريين لتحمل المؤن العسكرية من مكة وجدة إلى الطائف، وجمع أكثر من خمسمائة فأساً لقطع النخيل التي قد تعيق التقدم نحو تربة، واثني عشر قطعة حربية، وأمد الجيش بعشرين بناءاً ومثلهم من النجارين لفتح ثغرات في سور المدينة وحفر الخنادق(٨٢)، وتواصل مع إمام اليمن وحاكم مخا لطلب تزويده بما يحتاجه لكنهم لم يستطيعوا تقديم المساعدة، وطلب من الشريف حمود المساعدة الذي لم يظهر رفضه ولا قبوله للمؤازرة (٨٣). وقد تحمس جنود محمد علي عندما علموا بمسير الجيش إلى تربة لأن أسوارها لن تقوى على الصمود أمام ضربات المدفعية (٨٤). وفي ٢٦محرم ١٢٣٠هـ / ١٥ديسمبر ١٨١٤م عندما تمت الاستعدادات للحملة وضع محمد علي في نيته اللحاق بالحملة في ٢٤ من الشهر نفسه. وأرسل قائده أحمد بونابرت– ليتقدم من مكة ومعه مجموعة من المشاة وبموكب عسكري حاشد، ويزحف إلى كلاخ. لكن وصلت أخبار تحرك القوات الجنوبية بقيادة بخروش بن علاس إلى قرية بجيلة جنوب الطائف وقاموا بعملية سلب ونهب واتجه جيش بقيادة طامي بن شعيب من القنفذة إلى جدة ويبدو إن من أهداف القوات الجنوبية لتدارك حجم قواتها البسيطة مقابل استعدادات محمد علي العسكرية الكبيرة توسيع خط الجبهة مع القوات المصرية وإرباك محمد علي في مواجهتهم بنفس الوقت، وبذلك تحقق الوصول لتحقيق غرضين إرهاب عدوهم واعتماد خطة الكر والفر –حرب العصابات– التي تخدمهم في التغلب بعض شيء او حتى على أقل تقدير كانت تربك القوات المصرية التركية لاسيما وأنهم مزودين بأسلحة ثقيلة فتقيد حركتهم، وبالفعل سبب هذا الخبر الفوضى في صفوف القوات المصرية(٨٥)، وحدث إرباك شديد وهو الخشية من أنهم إذا لم يهاجموا المدن المذكورة نفسها فإنهم وعلى أقل تقدير سيقطعون خط الإمداد والاتصال من مكة وبالفعل بدأت

(٨٢) جيرالد دو غوري: حكام مكة، ص ص٢٧٠-٢٧١.
(٨٣) محمد علي إلى السلطان، ٢٣جمادى الآخرة عام ١٢٣٣هـ،١٨١٨م، وثيقة موجودة في رئاسة مجلس الوزراء في استانبول ، رقم ١٩٥٦٣ صورة منها مودعة في دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.
(٨٤) آل زلفة، ص٦٦.
(٨٥) بوركهارت: المصدر السابق، ص٥٠٦.

الحكومة بملأ خزانات الماء على عجل. وارتفع ثمن المواد الغذائية والتموينية إلى ٣٠٪ [٨٦]. لذلك قرر محمد علي السير بجيشه إلى تربة والانضمام إلى حسن باشا وعابدين بك ومحو بك وأحمد بونابرت وطوبوز أوغلون والشريف راجح[٨٧]. وكانت القوات السعودية بقيادة فيصل بن سعود على الجانب الآخر قد بدأ تجهيزاته ٣٠,٠٠٠ من الرجال، منهم ٢٠,٠٠٠ بقيادة طامي بن شعيب، وبخروش بن علاس ومحمد بن دهمان الشهري وأمير بيشة وقحطان و١٠,٠٠٠مع فيصل بن سعود فتوافد القوم للقاء في المنطقة المعروفة اليوم "غزايل" [٨٨] على طريق الطائف في أول محرم عام ١٢٣٠هاينابر ١٨١٥م. ثم تقدموا تجاه بسل بهدف قطع الصلات بين كلاخ والطائف، وما أن علم الباشا بتقدمهم إلى بسل حتى أسرع بزحفه من كلاخ بألف وخمسمائة من فرسانه ومدفعي ميدان للاستطلاع، وفي ٢٧محرم من عام ١٢٣٠هـ/ ٨ يناير ١٨١٥م[٨٩].

وتحرك الإمام فيصل بن سعود وجيوشه وأمر على كل قبيلة من القبائل المشاركة شيخها وأميرها الذي تدين له بالحكم وتمركزت اغلب القوات السعودية في التلال. والتحم الجيشان وبدأ القتال الدموي، حيث تمكن الجيش السعودي من إرغام الجيش العثماني على التراجع والتقهقر، وما هي إلا جولات قلائل حتى سيطر السعوديون على أرض المعركة بعد أن تمكنوا من قتل عدد كبير من القوات التركية المصرية، ويقدر عددهم ما بين أربعمائة رجل وخمسمائة جندي عثماني والبقية هربوا إلى مكة ونشروا شائعات موت الباشا وهزيمة الحملة[٩٠]. وفي اليوم الثاني ٢٨محرم من عام ١٢٣٠هـ حضر محمد علي باشا بنفسه إلى ساحة المعركة، وأعاد ترتيب صفوف مقاتليه، وفكر طويلا في خطة حربية محكمة لمحاولة استدراج القوات السعودية للنزول عن المرتفعات الجبلية وكان يعلم بأنه لن ينتصر طالما أن

(٨٦) جيرالد دو غوري: حكام مكة، ص ص٢٧٠-٢٧٢.

(٨٧) وثيقة رقم ١٩٥٨٨/ ٣٤٣- A "بخصوص الإجراءات التي يقوم بها محمد علي باشا في الحجاز من أجل إخراج آل سعود منها، ومن تلك الإجراءات نفي الشريف غالب ومقاتلة العربان في تربة المرجع نفسه والصفحة.

(٨٨) غزايل: واد يعرف باسمها في بلاد بلحارث، ويفيض في الجنوب، عبدالله بن محمد ابن خميس :معجم أودية الجزيرة، جـ١، (د. ن)١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص١٤٦.

(٨٩) بسل: من أودية الحجاز المنحدرة من أعالي جبال السراة يقطعه طريق الجنوب من الطائف بين وادي غزايل وليه .عاتق بن غيث :معجم معالم الحجاز، النادي الأدبي بالطائف، الطائف، جـ ١، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٧٨م، ص ص ٢٢١-٢٢٢.

(٩٠) بوركهارت: المصدر السابق، ص٣٩٦.

العدو كان ما يزال مسيطرا على المناطق الجبلية المرتفعة وكان ذلك هو أسلوب السعوديين في القتال، وهو الأسلوب الذي كان يتركز على احتلال المرتفعات وإدارة القتال من فوقها، وذلك لقلة فرسانهم وعدم وجود مدفعية قوية لديهم(٩١)، وان عليه تغيير الإستراتيجية العسكرية التي يعمل بها مع القتال عن طريق عرب الصحراء لأن القبائل الجنوبية على معرفة في حرب المرتفعات والجبال. وأرسل كل قوى الدعم والتعزيزات من قوى المشاة مع أسلحة الميدان الثقيلة لتأخذ أماكنها في موازاة القوات السعودية وجمع ضباطه وأمرهم أن يتقدموا ويقتربوا من مواقع القوات السعودية أكثر مما فعلوا قبل ذلك. وبعد أن يطلقوا نيران المدافع فعليهم أن ينسحبوا بطريقة تبدو فوضوية (٩٢). ونفذت الخطة بالدقة وعندما رأى بخروش بن علاس انسحاب القوات العثمانية تقدم سريعا بشجاعته المعروفة إلى سهل بسل تاركا تحصينه الجبلي، وذلك من أجل إثخان الطعن والقتل في قوات محمد علي باشا، وما هي إلا سويعات من نهار حتى أمر محمد علي باشا بالتقدم، ونصب المدافع مرة أخرى لضرب القوات السعودية التي كانت في مرمى نيران المدفعية خصوصا وأنها في سهل منبسط، وتقرر مصير المعركة فوراً لمصلحة محمد علي باشا، وقد افنى بخروش كل ما أوتي من قوة لصمود في الحرب وقتل فرسه في ميدان المعركة، فخاطر بنفسه حتى تمكن من الوصول إلى أحد الجنود العثمانيين فقتله وأمتطى فرسه بعد أن تمكن من قتل ضابطين من ضباط جيش محمد علي باشا، وهناك في وادي بسل ذاقت القوات السعودية مرارة الهزيمة على يد محمد علي باشا، وتفرقت جموعهم بعد أن عقل مئات الأبطال الجنوبيين أقدامهم لمواجهة الجيش العثماني تحت راحة المدافع، أما المتبقين منهم فقد أخذوا كأسرى حرب، ليمثل بهم محمد علي باشا عندما اعدم خمسين شجاعاً منهم بالخازوق على أبواب مكة وجدة احتفالاً بالنصر، وقد أشارت الباحثة دلال مخلد الحربي إلى أن المعركة لم تكن في صالح السعوديين حيث قالت تحت عنوان –نتائج معركة بسل (تكبد السعوديون خسائر جسيمة من جراء معركة بسل، وبالرغم من عدم الاتفاق على عدد القتلى في المعركة إلا أن العدد يبدو كبيرا(٩٣)، بل أن محمد علي باشا أعلن بين جنوده أنه سيدفع ستة دولارات عن كل رأس من

(٩١) عبدالرحيم عبدالرحمن :مرجع سابق، ص٨٢٣.

(٩٢) Fo24/6 رسالة من القنصل البريطاني في القاهرة إلى وزارة الخارجية البريطانية، الإسكندرية ٩مارس ١٨١٥م / ٢٧ربيع الأول ١٢٣٠هـ.

(٩٣) دلال مخلد الحربي: غالية البقمية، ص٨٩.

رؤوس الوهابيين وخلال ساعات قليلة كانت كومة خمسة آلاف رأس أمام محمد علي، وأحيط بألف وخمسمائة سعودي في واد ضيق ومزقوا إربا، كما قبض على ثلاثمائة سعودي آخرين وأعدموا بعد ذلك(٩٤).

وتعتبر معركة بسل من المعارك الأكثر أهمية لأنها أمنت لمصر الحكم والسيطرة على كل الحجاز حتى عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م(٩٥). وبخلاف القتلى فقد غنم محمد علي أكثر من خمسمائة خيمة وألفي رأس من الإبل والهجانة، وكمية كبيرة من الأمتعة ومخزونات تموينية وعسكرية، وقام محمد علي بإعطائها للجنود تكريماً لجهودهم(٩٦).

ويعطينا البسام وصفاً آخر للحظة الحاسمة في المعركة بالقول: "أركب الوزير – يقصد محمد علي باشا – أطوابه عليه عن قرب حتى أضرت بالسلفي مضرة ما يمكنه الصبر فيها، فأشاروا عليه –أي فيصل – رؤساء عسكره أن ترحل من هذا الموضع العالي، أي انزل منه، وتستكفي مضرة الأطواب، فاستحسن رأيهم عن الضرورة، فأمر خدامه، فأنزلوا خيامه، فلما بصر العسكر نزولها صاحوا صيحة كبرى، وقالوا: وهابي انهزم، وأقبلوا بعزم وطمع حتى خالطوه، وأما عسكر الوهابي لما نظروا لنزول الخيام، وغارة العسكر أيقنوا أن فيصلاً قتل فكل ضرب وجهه من عسكره، ولم يبق من عسكره المذكور إلا عدد قليل "(٩٧).

❁ خامساً: موقعة قريش الحسن الثانية ونهاية الأمير بخروش بن علاس:

بعد خسارة القوات السعودية أمام قوات محمد علي انفتح الباب للقوات المصرية للسيطرة على تربة التي تم احتلالها بعد أربعة أيام من موقعة بسل، وأصبحت حصناً ومعقلاً له وأمنت لهم حكم الحجاز حتى عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م، وأدت إلى تفرق القوات السعودية. كل إلى جهته فقوات الأمير فيصل بن سعود توجهت صوب بيشة، وعاد طامي إلى بلاد عسير وبخروش إلى بلاد زهران، وابن شكبان صوب بيشة.

وعلى أثر هذه الهزيمة قرر محمد علي الاستمرار لقتال القبائل الجنوبية واستغلال هزيمتهم في بسل وتربة والتخلص من مقاومتهم، وكان هدفه الأول بيشة نتيجة لموقعها

(٩٤) جيرالد دو غوري: حكام مكة، ص٢٧٥.
(٩٥) الرافعي: مصر محمد علي، ص١١٢.
(٩٦) Fo24/6 رسالة من القنصل البريطاني في القاهرة إلى وزارة الخارجية البريطانية، الإسكندرية ٩مارس ١٨١٥م / ٢٧ربيع الأول ١٢٣٠ه.
(٩٧) محمد البس: الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر -قبائل العرب -تحقيق سعود غنام الجمران العجمي: دمشق، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٨١-٨٢.

الاستراتيجي الذي يربط بين الحجاز وعسير ونجد، إلى جانب أهميتها الاقتصادية والزراعية، وكان يترأس بيشة ابن شكبان الذي استسلم بعد أربعة أيام من المقاومة وأمر القائد التركي جنوده بقتله(٩٨). وأرسل بتباشير النصر للسلطان وتعيين شيوخ جدد وترك ٥٠٠ من الجنود المشاة وبعض الفرسان والخيالة في المنطقة(٩٩). في الوقت نفسه أعطى محمد علي أوامره للقائد محو بك وللشريف راجح بالاتجاه من الحجاز إلى القنفذة للعزم لاحتلالها من القوات العسيرية وبذلك يستطيع تطويق بلاد زهران وغامد وعسير من الشرق(بيشة) ومن الغرب (تهامة).

وكان مخطط الباشا انه باستيلائه على عسير ستفتح له أبواب اليمن ويصبح المتحكم في مداخل البحر الأحمر، وموانئ اليمن التي من خلالها سيحكم الخليج العربي وكل الأراضي الممتدة من شرق الجزيرة العربية حتى سوريا، كما ويصبح الطريق إلى الدرعية ممهدة ولن تواجه حملته إلا القليل من الصعاب اذا تم الانتهاء من مشاكل القوات الجنوبية بقيادة بخروش بن علاس وطامي بن شعيب، لذلك عقد العزم على المضي لغزو منطقة عسير وبلغ تعداد العساكر من الجنود المصريين والأتراك، و١١,٠٠٠من الجمال وبعض البدو الذين اجبروا للقتال معه اما حباً للمال أو بتهديد قوة الباشا(١٠٠).

وأمر محمد علي قواته بالزحف إلى الجنوب الغربي باتجاه وادي شهران –هشبل حالياً –على مسافة يومين من بيشة ودخلوا الى منطقة خالية، بسبب فرار السكان بعد سماعهم عن قرب وصول حملة الباشا إلى الجبال بكل ما يملكونه وأصاب جيش الباشا الجوع والتهلكة وفي يوم واحد مات ١٠٠من الخيل(١٠١)، وخضعت أغلب القبائل للغزاة خوفا من بطش الباشا، ثم توجه لخميس مشيط النقطة الثانية في طريقهم إلى مناطق عسير، واستسلم الشيخ

(٩٨) محمد علي باشا إلى السلطان ٢١إبريل ١٨٥م، وثيقة رقم١٩٥٩٣ ٣/ ١ من سجلات رئاسة مجلس الوزراء في استانبول، نسخة منها مودعة في دارة الملك عبدالعزيز للبحوث، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٩٩) بوركهارت: مرجع سابق، ص٥١٢.

(١٠٠) محمد علي باشا إلى السلطان ٢١إبريل ١٨٥م، وثيقة رقم١٩٥٩٣ ٣/ ١ من سجلات رئاسة مجلس الوزراء في استانبول ، نسخة منها مودعة في دارة الملك عبدالعزيز للبحوث، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(١٠١) بوركهارت: المصدر السابق، ص٥١٣-٥١٤، وثيقة رقم ٢٠٥٥٤ " بشأن تلف العساكر الذين ساقهم محمد علي باشا على عسير وقيامه بإرسال العساكر من جديد " من سجلات رئاسة مجلس الوزراء في استانبول نسخة مودعة في دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، المملكة العربية السعودية.

مشيط من أهل الخميس واتباعه[١٠٢]. وبعد احتلال خميس مشيط وجه جيشه إلى الشمال الغربي إلى منطقة بلاد غامد وزهران التي يحكمها بخروش رئيس قبيلة زهران بدلا من توجه إلى طبب عاصمة طامي، وذلك لأنّ بخروش شكل خطرا على قوات محمد علي خصوصا قطع الإمدادات بين القوات المصرية والتركية من الطائف إلى عسير ونوه بخطره بوركهارت في ذكر أعماله البطولية ودوره في مقاومة الجيش التركي المصري للحجاز وكل المواجهات يكتب له النصر ماعدا موقعة بسل في ١٢٣٠هـ/ يناير ١٨١٥م بسبب بعض الظروف التي سبق التطرق لها مسبقاً. وقد ذكر بوركهارت انه كان من أشجع الفرسان في الجزيرة العربية، فيقول بوركهارت: "إن بخروش كان واحداً من أشرس قواد الوهابيين، فقد قتل اثنين من ضباط الباشا بيديه. وعندما أطلق على حصانه من تحته، اختلط بفرسان الأتراك حتى وجد فرصة سانحة، فحسب رجلاً من فوق حصانه وركبه وبهذه الطريقة نجا "[١٠٣]. وفي اليوم التاسع من ربيع الثاني من عام١٢٣٠هـ/١٨١٥م أرسل محمد علي باشا حملتين للقضاء على بخروش الأولى كانت من بلدة رنية، وهدفها مباغتة بخروش بن علاس وقومه من الشرق حيث الأرض المنبسطة، والحملة الثانية: بقيادة محوبك وهدفها مباغتة بخروش وقومه عن طريق النزول من الجبال، وعمل ما يسمى في العرف العسكري بـ(كماشة الهجوم). واستقر بخروش في مسقط راسه وادي قريش (العدية) حيث أعد قوة لا يستهان بها، فزحفت القوات المصرية التركية إلى زهران مع عدة آلاف بقيادة محو بك، ووصلت إلى قرية وادي قريش وقام بمحاصرتها لمدة أسبوع[١٠٤]. في حين قام بخروش بترتيب صفوق مقاتليه وتوزيعهم إلى مجموعتين الأولى عملها تبادل إطلاق النيران من داخل الحصون والأبراج، والبعض الآخر التسلل ليلا للقيام ببعض الغزوات الصغيرة عملا بمبدأ الكر والفر، استمرت المعركة ست ليال استطاع محو بك نصب المدافع على الجبال المطلة على قلعة بخروش

(١٠٢) محمد علي باشا إلى السلطان ٢١إبريل ١٨٥م، وثيقة رقم١٩٥٩٣ ٣/ ١ من سجلات رئاسة مجلس الوزراء في استانبول ، نسخة منها مودعة في دارة الملك عبدالعزيز للبحوث، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(١٠٣) بوركهارت: المصدر السابق ص- ٥١٠ -٥١٧.

(١٠٤) كانت قلعة الأمير بخروش وسط القرية ويحيط بها سور مرتفع يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار، وهي مبنية بشكل دائري بحيث إذا أصابتها قذيفة مدفع في أي جزء منها لا تنهدم، ويوجد بها أربعة حصون قطرها أربعة أمتار، ولعل محمد علي باشا لم يستطع هدمها فقط تأثرت بعض الأجزاء من جهة لأجزاء الشرقية والشمالية من السور. علي بن سدران :بطون قبيلة زهران، ص٥٢٦.

وقصفت القلعة واستخدم براميل البارود داخل ساحة القرية مما الحق بها الدمار الكبير في بعض أجزائها الخارجية، وتمكن العثمانيون من قتل عدد كبير من أبناء قبيلة زهران وأسر عدد كبير منها. في هذه اللحظة غادر بخروش القلعة مع عدد من رجاله لمهاجمة الباشا وعندما كان غائباً عن الحامية، طلب السكان من محمد علي منحهم الأمان، لكن اشترط عليهم أن يقبضوا على بخروش عند عودته وإحضاره للباشا(١٠٥).

وقبض عليه اثناء عودته من مهمته، وتم تسليمه للباشا، وبعدها دكت قلاع زهران بالنار(١٠٦). وعندما قبض محمد علي باشا على الأمير بخروش، كتب إلى السلطان العثماني في تركيا خطاباً جاء فيه:"ثم تحركنا إلى زهران، وكان عليها أمير يدعى: بخروش، رجل – ملعون – معه بضعة آلاف من أتباعه، وكان معتصما في القلعة، فحاصرناه، وإنا لنهم بدخول القلعة إذ خرج منها فجأة عدد من رجاله طالبين الأمان، قائلين إنهم نصحوا للأمير بترك المقاومة. فدخلنا القلعة

(١٠٥) محمد علي باشا إلى السلطاني دارة الملك عبدالعزيز للبحوث، الرياض، المملكة العربية السعودية. نحلل الوثيقة والاختلاف في الاقوال كيف دكت الحصون مازالت قائمة اذا الرواية مشكوكة ونرجع مقارنة في حادثة ارسل انه انتصر للباشا والواقع عكس ذلك وثيقة رقم ٣٥-/١/٥ من محمد علي للسلطان العثماني، ربيع ثاني ١٢٣٠هـ،دارة الملك عبدالعزيز للبحوث، الرياض.

(١٠٦) وأثناء الحرب يقال انه تمت خيانة كبرى تعددت الأقوال والأهواء ـولكن يبقى السؤال التاريخي كيف قبض على بخروش وممن كانت الخيانة؟ من خلال استعراض الأحداث التاريخية أنه اثناء القصف المدفعي وبراميل البارود وقتل الكثير من أبناء قبيلة زهران قام مجموعة منهم بالاتصال بمحو بك لطلب العفو والنجاة فطلب منهم فتح باب القلعة والقبض على بخروش وتسليمه. ودليل ذلك الرسالة الشهيرة التي بعث بها محمد علي باشا إلى الوالي العثماني في إسطنبول: الرسالة بتاريخ ٢١ربيع الثاني١٢٣٠هـ (استمر زحفنا على ديار بخروش رئيس قبيلة زهران، وكان أميرهم في القلعة مع بضعة آلاف من رجاله، حيث بدوا وكأنهم حشرات، وحاصرنا القلعة لمدة أسبوع ثم قمنا ببعض التفجيرات. وعندما كنا على وشك مهاجمته في قلعته جاء إلينا رجاله يطلبون السلم. فمنحناهم العفو والسلم على شرط أن يقبضوا على بخروش ويحضروه لنا). أما الرواية الشفهي الأخرى التي تسمع من بعض العامة فتذكر مساومة محمد علي باشا بعد القبض على افراد من قبيلة قريش قبيلة الأمير بخروش وساومه على قتلهم او التخلص منهم ومن وجهة نظري انها رواية بعيدة عن الصحة بدليل محاولة الأمير بخروش الهروب بعد أن كان في الأسر لدى الباشا ولوكان في نيته التسليم لما حاول التخلص من الأسر ومحاولة العودة للجهاد والمقاومة ضد القوات التركية والمصرية. كما ان نهاية الأمير بخروش كانت نهاية للحكم السعودي على بلاد غامد وزهران قاطبة وهذه الرواية بها دلالة تؤكد على أن الأمير بخروش كان اميرا على غامد وزهران وليس فقط على قبيلة زهران.

وأخرجنا من كان فيها) [١٠٧]، وبذلك تمت سيادة محمد علي العسكرية على المنطقة كاملة، ماعدا أرض عسير وبعض مناطق الجناح الغربي لقبيلة عسير التي سيطر عليها بعد العديد من المواجهات مع القائد طامي بن شعيب. وكبل بخروش بالحديد وأسر، وأخذ يتنقل به تحت حراسة الجنود وهو يخضع بقية بلاد زهران وغامد، ثم نزل تهامة لملاحقة الأمير العسيري طامي بن شعيب، وقبض عليه بواسطة أحد الخونة بنفس طريقة الأمير بخروش بن علاس، وأنزلهما في خيمتين متجاورتين لخيمته، وذات ليلة وجد الأمير بخروش بن علاس، حراسه نائمين وأمسك خنجراً وتحايل لفك أغلاله وتحايل لفك أغلاله وهرب من المعسكر، ولكن تم الإمساك به بعد أن قتل رجلين وجرح ثالثاً، كما أن محمد علي تعامل بكل قسوة مع الأمير بخروش كعادته مع خصومه فذكر بوركهارت أن محمد علي أمر جنوده فقاموا بتمزيقه إرباً بقسوة بالغة بناء على أوامر القائد التركي دون أن يجأر بالشكوى[١٠٨]. واتفق معه غوان في رواية حادثة مقتله يقول: "إن بخروش استطاع ذات ليلة في غفلة من الحرس قطع سلاسله والهرب. إلا أن جنود محمد علي، أحاطوا به فاستل خنجره وقتل ضابطين مصريين وجرح ثالثاً، وأخيراً أمسك به الجنود وأحضروه إلى محمد علي، فقال له محمد علي: بأي حق قتلت اثنين من رجالي؟ قال: لقد أفلت من قيودي وأصبحت حراً، فأنا أفعل ما أريد. قال محمد علي: وأنا كذلك. وأمر برأس بخروش فقطع[١٠٩]. وأرسل طامي إلى القاهرة في ٣١مارس ١٨١٥م / ١٩محرم١٢٣٠هـ مكبلا ومحملا بالحديد والسلاسل، وهو راكب على جمل بقصد التشهير به وإعلان النصر، وأخذوا يتجولون به في موكب في شوارع القاهرة، ورأس بخروش في كيس متدل من أكتافه[١١٠]، بل أرسل به إلى استانبول، ورأس رفيق دربه محمولا معه، وهناك أيضا سير بموكب في الشوارع الرئيسية لعاصمة السلطان، ثم قطع رأسه أخيراً. وهذا التصرف من الباشا والسلطان يدل على ان الانتصار على القائد بخروش وطامي بن شعيب من أهم مراحل النصر الكبير للدولة العثمانية لقوتهم وصمودهم في وجه القوات التركية والمصرية رغم عدم كفاءة القوتين بين الفريقين. وقد أخبر محمد علي سلطان تركيا بهذه الواقعة في رسالة بعث بها إليه، جاء فيها: "وإذ بالمدعو بخروش الذي كان أخرج من السجن وأعطي الأمان ووضع تحت الحراسة، يغتنم إحدى الليالي فرصة عدم انتباه أحد الجنود،

(١٠٧) تاريخ البلاد العربية السعودية عهد عبدالله بن سعود، ص٤٨.
(١٠٨) بوركهارت: المصدر السابق، ص٥١٨.
(١٠٩) جيرالد دو غوي: حكام مكة، ص٢٨٠.
(١١٠) بوركهارت: المصدر السابق، ص٥١٨.

فيختطف السلاح من وسطه ويجرح نفرين فيسقط هو الآخر صريعا(١١١). ثم أمر محمد علي، بقطع راس الأمير بخروش وسلم الأمير طامي بن شعيب أمير عسير، حياً لرئيس حجابه الحاج بكر اغا، ومعه رأس بخروش فسافر بطامي والرأس معه عن طريق ميناء القنفذة، إلى القاهرة فاستانبول(١١٢).

وقد استبشرت الدولة العثمانية بالقبض على الأمير طامي بن شعيب، وبخروش بن علاس وبقتلهما نظير ما قاما به من أعمال عسكرية ضدهم، وكانوا دائما يرمونهم بالألفاظ البذيئة مما يدل على ما سبباه لهم من متاعب(١١٣). وتوالت على محمد علي باشا، رسائل التهاني والتبريكات، من كافة المسؤولين بالدولة العثمانية حيث تلقى رسالة من إبراهيم أفندي، إلى محمد علي: "تفضلتم في هذه السنة الميمونة، وسرتم من مكة المكرمة مع جميع العساكر المنصورة والجنود المطيعة. نحو طوائف الخوارج أفواجا كأمواج البحر، وقمتم بتشتيت الجموع المنحوسة والقبائل المعدودة، لهؤلاء العندة الفاسدين المجبولين بتراب الشيطنة، كما أنكم جعلتم أكثرهم طعمة لسيفكم وصفحتم عن الذين طلبوا العفو منهم مع السماح باستقرارهم في مساكنهم الحقيرة، وحيث تفضلتم وسمحتم بتوصيل المسمى (طامي)، والرأس المقطوع بالسيف للمسمى (بخروش)، وذلك إلى السدة السنية، فقد جلبتم اللطف إلى مصر"(١١٤).

وبانتهاء إمارة بخروش بن علاس تطوى صفحة هذا الرجل المكافح من أجل استمرار الدعوة السلفية والدفاع عن أئمتها بكل قوة وعزيمة وإخلاص.

(١١١) من وثائق الدولة السعودية الأولى: عهد عبدالله بن سعود، ص١٨٧.
(١١٢) وثيقة رقم ١٩٦٨٦ محمد علي باشا إلى السلطان ٢٧رمضان ١٢٣٢هـ /١٨١٧م محفوظة دارة الملك عبدالعزيز.
(١١٣) عبدالرحيم عبدالرحمن: وثائق الدولة السعودية الأولى، ص ٤٩٢-٤٩٣.
(١١٤) عبدالرحيم عبدالرحمن: وثائق الدولة السعودية الأولى: ص٤٩٠.

الخـــاتمة والنتـائج

ركزت الدراسة على حياة القائد بخروش بن علاس ودوره في مقاومة حملة محمد علي باشا على تربة والقنفذة وبلاد زهران، وظهر من خلال هذه الدراسة أن حياته الخاصة يشملها الكثير من الغموض وعدم الوضوح لقلة المعلومات التي دونت عن حياته وعدم العثور على وثائق تفيد في كشف الغموض عن نقاط محدودة، مثل ميلاده، وأبنائه، وحياته بشكل عام. إلى جانب تناقض وضعف الروايات الشفهية، لأنها مرويات عن أشخاص معاصرين نقلوها عن أقاربهم. وهي قليلة و لا يمكن الاعتماد عليها لأنها لا تقدم ما يفيد بشكل حاسم، وقد حاولت الباحثة تحليل وتركيب الأخبار من الروايات الصغيرة لعلها توضح بعض جوانب حياة القائد بخروش.

حقيقة إن شخصية بطولية بهذا القدر الكبير من الشجاعة والمقاومة وعدم الخضوع و الاستسلام لقوة كبيرة مزودة بأسلحة ومدافع وأسطول بحري يضم أكثر من ٦٠قطعة بحرية، وفي المقابل لا يوجد لديهم سوى بعض البنادق والسيوف والخناجر في أقل الأحوال، لابد وأن تكون معلومات عنها قد تكون من ضمن بعض المخطوطات في شبه الجزيرة العربية التي لم تنشر بعد، أو في الوثائق المجهولة والأرشيف العثماني والبريطاني. وربما تضمنت هذه الدراسة تحليلاً لبعض المعلومات التي قد تكون تقريب لصورة هذا القائد ودوره الجهادي والكفاح الوطني ضد المستعمر. وقد تكون هناك فرصة لتقديم دراسات أكثر تعمقاً عن حياته التي تمثل إبراز دور هؤلاء الرجالات الذين ساهموا بدورهم الوطني مع القادة العظام، حتى يعلم أبناء هذه الأمة كيف بنيت هذه سيرة الجهاد الوطني على سواعد هؤلاء الرجال، وحتى لا يفقد هؤلاء الأبناء القدوة الحسنة التي أفرزتها التجربة التاريخية لمملكتنا الحبيبة في وقتنا الراهن.

وقد توصلت فيما يلي إلى نتائج وهي على النحو الآتي:

١-إن القائد بخروش أدى دوراً فاعلاً في صد حملة محمد علي باشا على بلاد غامد وزهران، ونظم المقاومة تنظيماً دقيقاً رغم عدم كفاءات القوة بين الطرفين. والقدرة على المشاركة في حملات الدولة السعودية الأولى ضد القوات العثمانية بمنطقة الحجاز وبلاد زهران وغامد وهذا أكبر دليل على قوة وإخلاص بخروش وولائه للدولة السعودية الأولى .

٢-إن القائد بخروش وقوات عسير بما أظهرته من شجاعة وقيادة حظيت بانتباه الطرف الآخر ويعلل هذا ذهاب محمد علي باشا بنفسه لمقاتلة قبائل السراة في حين أرسل ابنه

إلى الدرعية ويعود ذلك أن بلاد غامد وزهران وعسير كانوا هم الشوكة العسكرية القوية التي ساهمت مع غيرها من القبائل في توحيد الجزيرة العربية تحت لواء الدولة السعودية الأولى بل هي أقوى القبائل وأكثرها أثراً وأعظمها دورا في تلك الفترة، إضافة إلى كونها مركزاً تموينيا استراتيجيا للحجاز أي للأشراف الذين حرصوا على إخضاعها منذ البداية

٣- إستراتيجية منظمة اتبعها القائد بخروش في حربه ضد الطرف الآخر، ومحاولة التغلب على عدم كفاءة القوتين من خلال طريقة الكر والفر المعتمدة على سرعة النزول على جيش العدو ثم الفرار بسرعة فائقة مستغلا قلة الجيش وخفة الحركة بعكس القوات العثمانية وثقل جيشها وتسليحهم، حرب العصابات، القتال من أعالي الجبال وعدم قدرت القوات العثمانية الانتصار عليهم في هذه الحالة، وقد أدرك محمد علي باشا خطة القوات المقاومة من بلاد غامد وزهران وقوات عسير، لذلك عمل الباشا في موقعة بسل الشهيرة إلى تغيير إستراتيجية حربه وعمل خطة استدرجت المقاومين من الجبال إلى ارض المعركة وحقق الانتصار عليهم فقط في هذه المعركة.

٤-إنّ معركة بسل كانت معركة فاصلة نتج عنها ترسخ نفوذ محمد علي باشا وامتداده في شبه الجزيرة العربية ونهاية مقاومة تربة، والبدء بالتفكير بالقضاء على القوات الجنوبية اولاً.

٥-عند استقراء الوثائق التاريخية حول هذه الفترة لأهالي المنطقة في القرن ١٤هـ/ ٢٠م توضح أن أغلب أبناء القبائل من غامد وزهران تدين بالولاء الكامل لشيخها في المشاركات السياسية والاجتماعية وغيرها. فلا يخرج أفراد القبيلة على بعض أفرادها، ويدون التأييد الكامل من أبناء القبيلة أما مداهنتهم أو خوفاً منهم.

٦- من الأسباب التي أدت إلى ضعف الثوار مع جيش القائد بخروش عدم دعم الثوار من قبل قوات الشمال والدولة السعودية الأولى مع قلة الدعم اللوجستي.

٧- الظروف البيئية والجغرافية الصعبة لبيئة المنطقة مع خيانة بعض المتخاذلين من الثوا، وإفشاء أسرار الثوار لهم، وتسهيل مهمة القبض القائد بخروش بن علاس.

كل هذه الأسباب التي ذكرناها سهلت على الجيش المصري مطاردة بخروش وانتهت بذلك قصة الفدائي الثائر الأمير بخروش الذي علم الناس كيف تكون مقاومة الظلم والاستبداد مع المحافظة على الكفاح الوطني والذود عن الوطن بالنفس والروح.

المصـــادر والمراجـــع

❖ **الوثـــائق:**

١- الوثائق العثمانية:

- رسالة إدخال الأسلحة من سواحل عسير بتاريخ ٢٧/ ١١/ ١٣٢١هـ،الأرشيف العثماني، بتصنيف 251 /255.
- رسالة إرسال محمد علي باشا والي مصر الذخائر والعساكر إلى الحجاز، الأرشيف العثماني، تصنيف 13649.
- رسالة استلام الوالي محمد علي باشا من ابنه طوسون باشا تحتوي على التفصيلات بخصوص استرداد مكة وجدة، تصنيف 19569.
- رسالة بشأن التحريرات المتبادلة بين الشريف غالب ومحمد علي بخصوص الوهابيين "الأرشيف العثماني، تصنيف B3838
- رسالة بشأن عزل الشريف غالب وإرساله إلى مصر، وتعيين الشريف يحيى بن سرور أميرا على مكة المكرمة بتاريخ ١/ ٧/ ١٢٢٨م،الأرشيف العثماني تصنيف /A-345 19684.
- رسالة محمد علي إلى السلطان، تاريخ ٢٣جمادى الآخرة عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م، الأرشيف العثماني، تصنيف 19563
- رسالة محمد علي باشا إلى السلطان تاريخ ٢١ابريل ١٨١٥م، الأرشيف العثماني، تصنيف 319593 /1
- رسالة محمد علي باشا إلى السلطان تاريخ ٢٧رمضان ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م الأرشيف العثماني، رقم 19686.
- رسالة محمد علي باشا إلى السلطان، بدون تاريخ، الأرشيف العثماني، تصنيف رقم 19594.

٢- وثائق بريطانية:

- Fo24/ 5 رسالة من القنصل البريطاني في القاهرة إلى وزارة الخارجية البريطانية، مؤرخه في ٦يونيو ١٨١٤م -١٧جمادى الآخرة ١٢٢٩هـ -،و٧أغسطس ١٨١٤هـ/ ٢٠شعبان ١٢٢٩هـ.

-Fo24/ 6 رسالة من القنصل البريطاني في القاهرة إلى وزارة الخارجية البريطانية، الإسكندرية،٩مارس ١٨١٥م / ٢٧ربيع الأول ١٢٣٠هـ.

❖ **الكتب:**

- إبراهيم بن محمد الزيد: قبيلة زهران منذ القرن الثالث عشر الهجري، ط١،١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- أحمد السباعي: تاريخ مكة، جـ١، مطبعة العبيكان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، الرياض.
- أحمد بن يحيى آل فائع: دور المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها، ط١٤٢٧،١هـ٢٠٠٦م، مطابع الحميضي، الرياض.
- إدوارد جوان: مصر في القرن التاسع عشر، ترجمة محمد مسعود، القاهرة، ١٩٣١.
- إدوارد جوان: مصر في القرن التاسع عشر، سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم باشا، ترجمة محمد مسعود، ط٢، القاهرة، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.
- التراث العمراني في المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون البلدية والقروية، شعبان ١٤٢٣هـ/ أكتوبر ٢٠٠٢م.
- جمال الدين ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ليدن، تاريخ ابريل ١٩٥١-١٩٥٤م، جـ١
- جون لويس بوركهارت: ملاحظات عن البدو والوهابيين، ترجمة عبدالله الصالح العثيمين، ١٤٣٤هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.
- جيرالد دو غوري: حكام مكة، مكتبة مدبولي.
- جيوفاني فيناتي: حياته ومغامراته في جزيرة العرب، ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م، ترجمة محمد عبدالله آل زلفة، ط١، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- دلال مخلد الحربي: غالية البقمية حياتها ودورها في مقاومة حملة محمد علي باشا على تربة،١٤٣٤هـ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.
- سير هارفارد جونز بريد جز: موجز عن تاريخ الوهابية، لندن، ١٨٣٤.
- عاتق بن غيث البلادي: رحلات ومشاهدات، دار مكة للنشر والتوزيع ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- عاتق بن غيث البلادي: معجم معالم الحجاز، جـ١، النادي الأدبي بالطائف، الطائف، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٨م.
- عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي، دار لكتاب الجامعي، القاهرة.
- عبدالرحيم عبدالرحمن: الدولة السعودية الأولى، ط٤، القاهرة، دار الكتاب الجامعي١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، جـ١.

- عبدالله بن محمد ابن خميس: معجم أودية الجزيرة، جـ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- عبدالهادي بن مشبب الشهري الحروب التركية في المنطقة الجنوبية. .
- عثمان بن عبدالله ابن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبدالرحمن عبداللطيف، ط٤،دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م،الرياض.
- علي بن محمد بن سدران: بطون قبيلة زهران شيوخها، أسواقها، شداتها، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، مطابع الشاطئ، الدمام.
- فيلكس مانجان: تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي باشا على الجزيرة العربية، ترجمة محمد خير محمود البقاعي، ط١، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض،١٤٢٤هـ.
- محمد البسام: الدرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر– قبائل العرب – تحقيق سعود غنام الجمران العجمي، دمشق١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- محمد بن زياد الزهراني: الأمير بخروش بن علاس الثائر الفتاك على غزو الأتراك، الانتشار العربي، ط١،بيروت، ٢٠١٥
- محمد بن عبدالله ابن بليهد: صحيح الأخبار عما جاء في بلاد العرب من الآثار، ط٢، مج٤ ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- محمود شاكر: شبه جزيرة العرب، المكتب الإسلامي ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- منير العجلاني: تاريخ البلاد العربية السعودية، الدولة السعودية الأولى، عهد عبدالله بن سعود، جـ ٣ ط٢، دار الشبل، الرياض، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٣.
- هارفرد جونز بريد جز: موجز لتاريخ الوهابي، ترجمة عويضة بن متيريك الجهني، ط١، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٤هـ.

❖ **المقـالات الإلكترونية:**

- مقال الأستاذ عبدالله موسى الزهراني ١١١٤٢٧/٢٣هـ
https://www.alnssabon.com/t42150.html.

❖ **الـدوريات:**

- "بخروش بن علاس "المجلة العربية العدد ٥٢٠–يناير ٢٠٢٠/ جمادى الأولى ١٤٤١م.
- "قاهر الطغيان العثماني "بخروش بن علاس" في وطنية التاريخ بالباحة "صحيفة سبق ٢٦سبتمبر–٢٠١٩/ ٢٧محرم ١٤٤١هـ.